

نور النصار
فى مناظرات
الورود والرياحين والأزهار
الماردينى - اليمانى - المقدسى

تحقيق
محمد الششتاوى



نور النصار
في مناظرات
الورود والرياحين والأزهار
المارديني - اليماني - المقدسي

الطبعة الأولى
١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م
جميع الحقوق محفوظة



القاهرة - ٥٥ شارع محمود طلعت
(من شارع الطيران) - مدينة نصر
تليفون : ٢٦١٠١٦٤

رقم الإيداع : ١٨٩٣ لسنة ١٩٩٩
الترقيم الدولي : 3-38-5727-977

نور النصار
في مناظرات
الورود والرياحين والأزهار
المارديني - اليماني - المقدسي

تحقيق
محمد الششتاوي



مقدمة

بدأت المناظرة أولا كعلم يبحث في الشئون الفقهية والدينية والعلمية، وكان لهذا العلم أصوله وآدابه ومنهجه العلمي، وكان الغرض منه الوصول إلى الحق والصواب.

ثم سرعان ما انتقلت المناظرة إلى نواحي أدبية بحثه حولتها إلى مفاخرة ساخرة. ولكي تحقق المناظرة غرضها كان لابد لها من ثلاثة شروط، أولها أن يجمع بين خصمين متضادين أو متباينين في صفاتهما بحيث تظهر خواصهما بالمقابلة كالصيف والشتاء، والربيع والخريف، والماء والهواء، الشرط الثاني أن يأتي كل من الخصمين في نصرته لنفسه وتفنيد مزاعم منافسه بأدلة من شأنها أن ترفع قدره وتحط من مقام الخصم، والشرط الثالث أن تصاغ المعاني صوغا حسنا وترتب على سياق محكم ليجذب السامع وتنمي فيه الرغبة في حل المشكل.

وقد استطعت بفضل الله أن أجمع عدة مجموعات من المناظرات والمفاخرات معظمها كانت مخطوطة ليتعرف القارئ على هذا اللون الأدبي الشيق في موضوعه وأسلوبه، وهذه المجموعة عبارة عن مناظرات ومفاخرات بين أنواع الزهور، أطلقت عليها عنوان «نور النهار في مناظرات الورود والرياحين والأزهار» وهي تمتاز بطرافة موضوعها ورقة أسلوبها، عسى أن تنال إعجاب القارئ، والله ولي التوفيق.

المناظرة الأولى
الجوهر الفرد في مناظرة النرجس والورد

الجواهر الفرد في مناظرة النرجس والورد

لأبى الحسن على بن محمد بن أبى بكر بن الشرف الماردىنى، خدم بها قاضى القضاة شهاب الدين بن الكشك، وقد استخرجتها من مخطوط كوكب الروضة للسيوطى.

وهى مناظرة لطيفة، والفاظها عذبة رقيقة، عرض فيها المؤلف مميزات كل من الورد والنرجس، وقد حاول كل منهما اظهار محاسنه وعيوب منافسه، وأسلوبها سلس مسجوع، وضم الكاتب فيها الأشعار والأقتباس من القرآن الكريم والحديث النبوى والحكم والأمثال، وهذا الأسلوب شاع من كتابة العصر المملوكى.

وقد فضل المؤلف هنا أن يساوى بين النرجس والورد لقوة حجتهما فى المناظرة وتساويهما فى التفضيل حيث أجمع الناس على فضلهما على سائر الأزهار.

الجواهر الفرد في مناظرة النرجس والورد

لأبى الحسن على بن محمد بن أبى بكر بن الشرف الماردينى

خدم بها قاضى القضاة شهاب الدين بن الكشك قال :

الحمد لله الذى أنبت فى رياض الخدود وردة الخجل ، وزين أغصان
القدود بنرجس حسن المقل ، وأوضح لذوى الأدب سبيل البلاغة
فاتضح ، واستجلوا من وجوه المعانى عيون الملح ، والصلاة والسلام
على سيدنا محمد الفارق بين الشك واليقين بقول غير ملتبس ، وعلى
الآل والأصحاب ما خجلت خدود الورد من تغازل عيون النرجس ..
وبعد

فلما كان الورد والنرجس من أحسن الأزهار وصفا ، وألطفها شكلا
وأطيبها عرقا ، وقد اختلف بينهما فى التفضيل ، وأيهما حضر كان لبيت
البسط تكميل ، مثلتهما كالخدين فى المناظرة ، واستنطقت لسان حالهما
على سبيل المحاضرة . فقال الورد :

الحمد لله الذى أنزل فى محكم القرآن « فإذا انشقت السماء فكانت وردة
كالدهان » ، والصلاة والسلام على نبيه المبعوث إلى الأسود والأحمر ، الذى نسخ

بشريعته البيضاء ملة بنى الأصفر (١) ، بعد فإن الله تعالى فضلنى على سائر الزهر بأرفع
المراتب، فوجب على شكر نعمته وشكر النعم واجب، فبى تتجمل المجالس والمحافل .

وإنى لإن كنت الأخير زمانه .: لآت بما لم تستطعه الأوائل

كفانى الله عين حسودى، فالروض ملكى والزهر جنودى، وما منهم
من قلع (٢) فى أعلامى السلطانية، وكيف لا يطيعوننى وشوكتى فيهم قوية .

فازورت أحداق النرجس، وقام على ساقه فى المجلس، وقال : أقسم بمن
أنزل فى كتابه المبين « صفراء فاقع لونها تسر الناظرين »، وحق محمد
المحمود، الذى يوحى إليه « قتل أصحاب الأخدود »، قد مدحت نفسك
بالكمال مع نقصك، وما جررت النار إلا إلى قرصك، أتعيرنى بالأصفرار
وهو لون التبر إذا انسبك، وتفتخر على بالأحمرار فما أحمرك، فتأدب فى
مقالك، وأذكر سرعة زوالك، واحفظ حرمتك، وإلا كسرت شوكتك .

فقال الورد : ويلك ما أقوى عينك وأكثر مينك (٣) ، اتجعل مقامك
مقامى وأنت من بعض خدامى، ولو لم تكن قليل الحرمة، ماكنت جالسا
وأنت واقف فى الخدمة، ألك مثلى حسن منظر ومخير، أما سمعت أن
الحسن أحمر، وأن غيرتنى بقصر مدتى، فقد استنبت عنى بخليفتى (٤) ،
ولم يزل جمال المقامات، ومن خلف مثله مامات، اتحسب محاسنى مثل
محاسنك متناهية، وكيف ينقطع عملى ولى صدقة جارية، فشتان بينى
وبينك، فإن لم تنته عن جدالك، قلعت بشوكتى عينك . وانشد لسان حاله :

ولعز مجدى تخضع الازهار
ولها من الورق الجديد عذار
الشذا اكمامها فانقضت الأزار
نشوان قد دارت عليه عقار

لجمال وجهى تشخص الأبصار
لى نفحة وردية فى وجنتى
وملابسى من سندس فتق
فكأأتنى هذا الحبيب إذا بدا

(٢) وما فهم من قدح فى النسخة ب .

(٤) المقصود ماء الورد .

(١) بنى الأصفر : الروم .

(٣) مينك : كذبك .

حياتى فكم فى وجنتى دينار
من حوله تتخطف الأبصار
حسد وغيط قد ملاك صفار
لك فى لياليك الطوال فخار
وكذلك أيام السرور قصار

لاغرو ان صرف الحب على
حرمى غدا لذوى الخلاعة امنا
ولى المهابة والبهاء وأنت من
ما شاننى قصر الزمان ولا يرى
ولكن أيامى سرور كلها

فقال النرجس : يا قليل المودة، ويا قصير المدة، اين العيون من
الحدود، وأين الجافى من الودود، أنا أوفى بميثاقى، ومن يزرنى اجلسه
على أحداقى، فيقول لى من افضت عليه السرور فيضا، لقد اكرمت
ضيفك فعليك الراية البيضاء، وأنت طالما جنى شوكك على من جناك،
فذقت عذاب النار ذلك بما كسبت يداك، سرقت لون الحبيب وتسترت
بالورق، فقطعوك والقطع حد من سرق، واستقطروا ماء دمك وأذاقوك
الحرق، وقيل لتركبن طبقا عن طبق، وأى فخر فى أحمرارك الشريق، وكم
بين التبر والعقيق، فلا تبهرج زيفك على خالص اللجين^(١)، وارجع عن
المناظرة فما جئتك إلا بعين، هذا ولى فى السبق قصبات، وكم جلوت
صدأ القلب بطيب النفحات، وإذا وفد جيش الزهر فلى فى طلائعه عيون،
والسابقون السابقون أولئك المقربون، وانشد

فأنا المقيم على الوفا يامتهمى
وكما علمت شمائلى وتكرمى
حسنا وساقى فى يديه ومعصمى
واصون سر العاشق المتكتم
عونا عليه من الدبيب المحرم
والى تشبيه اللواحق ينتمى
وجميع أيامى كيوم الموسم
لولا فساد قياس من لم يعلم
واعلم بان الفضل للمتقدم

فقت الزهور جميعها بتقدمى
ادعو الندامى للمسرة والهنا
وأقى الجليس بناظرى وأروقه
واغض طرفى أن خلا بحبيبه
وإذا غنى المحبوب كنت بحفظه
واغازل الاجفان وهى نواعس
وترى حجيج اللهو حولى طائفا
اين العيون من الحدود نفاسة
فافهم وكن عن رتبتي متأخرا

(١) اللجين : الفضة .

فاحمر خد الورد والتهب، وظهر في وجهه صورة الغضب، وقال
ياقوى العين، وبألون اللحين، خل عنك الحماقة، ولا تدخل في باب
مالك به طاقه، فلقد استحققت المقت، ولا أبالي بك ولو برقت، كيف
تفاخر بصفارك حمرة الخدود، ومن أين لبياض أجفانك مغازلة العيون
السود، أتناظر بعماشك عيون الملاح، ما أنت يا عيون النرجس إلا وقاح،
اتعيرني بحسن الابتلاء وهو الأفضل، وقد قال ﷺ «نحن معاشر الأنبياء
أشد الناس بلاء» الأمثل فالأمثل، طالما ابتليت فصبرت، وما شكوت
حالي بل شكرت، أبيت بزفرة لاتخمد، وادمعى تتحدر، وأنفاسي
تتصعد، أحبس بلا ذنب واعصر، فتجري دموعي وما هي إلا مهجة
تذوب فتقطر، وما صر إبراهيم القاؤه في نار نمرود، ولا شان يوسف
سجنه مع فضله المستهود، مع أني طالما لثمت الثغور والاعناق، وفزت
بالشم والضم والعناق، ذكى مني الأصل والقرع، ولا انزل بواد غير ذى
ذرع، واقسم ببديع حسنى وتديع أوراقي، وسموى عن مراعاة النظر
بتوجيه طباقى، ما أنت محاسنى فى المقابلة، ولا موازنى فى المساكنة، ولا
لاحقى فى الطى والنشر، وأناسيد زهر الربيع ولا فخر، فلا تطل الشقاق
والنفاق، ولا بد لك من الوقوف على خدمتى ولو قامت الحرب على
ساق، وأى نضل لك فى التقديم، وكم بين الحبيب والكليم، وإذا أردت
كشف التلبيس، فتفكر فى فضل آدم على إبليس، وكم بين الشمس
والنجوم، وما منا إلا له مقام معلوم، وهل أنت إلا من بعض جنودى،
والمبشرين بورودى، وأنا منك بالفضل أولى، وللآخرة خير لك من
الأولى. وانشد :

وأنا ما نقصت بالتأخير
مثل ما بين يوسف والبشير

لم يزدك التقديم فى الفضل شيئا
بيننا فى القياس فرق لطيف

فحدق النرجس وحولق ، ورفع رأسه بعد أن أطرق . وقال : إذا
افتخرت بآثارك فليست العين كالأثر ، وأن كنت مباشر الثغور فأننا لى
حسن النظر ، مع أنهم ارضعوا بك فى التسعير ، وما عصروك إلا عن ذنب
كبير ، ولو لم تكن من المتمردين الانجاس ، ما حبسوك فى قماقم النحاس ،
وأنت فى افتخارك كما قالت الحكماء ، انف فى الماء واست فى السماء ،
تتطفل على الموائد ، ولا تصبر على طعام واحد ، واقسم بقدى الرشيق ،
ونورى الشريق ، وبياض صحائفى ، واخضرار سوافى ، لئن لم تصن
بهجتك المسبوكة ، وتستتر فضائحك المهتوكة ، لأقطعن طرقك المسلوكة ،
واجعلن حرمتك متروكة ، ولا اترك لك فى عصابة الأزهار شوكة ، وأذيقك
عذاب الهون ، اتعينى وكلك عيوب وكلى عيون ، أنا طبعى الوفا وأنت
طبعك الغدر ، وأنا أول ما تنشق عنه الأرض من الزهر ولا فخر ، ولولا
خشية التطويل ، عددت معايبك على التفصيل ، ولكن شيمتى غض
الطرف فى المجلس ، وما أحسن الغض من النرجس ، وأن تشبهت بالشمس
أنا بكسوفك شامت ، وأن كنت من السيارة فأنى من النجوم الثوابت ،
وشتان بين طالع وآفل ، وكم بين مقيم وراحل ، وأن لم ترجع إلى السكينة
والوقار ، لأرينك النجوم بالنهار ، أين قضبان الزمرد من شوك القتاد (١) ،
وكم بين مرید ومراد ، وأقسم بمن زين السماء بزينة الكواكب ، إن لم
ترجع لأرمينك بشهاب ثاقب ، وأسلط عليك رجوم نجومى ، وأقول
مضمنا قول ابن الرومى أنشد :

عجبت للورد إذ وافى يناظرنى	وزاد فى قوله عجباً وفى شططه
يبدو وطيّاته من حول سفرته	كُسرُم بغل وباقى الروث فى وسطه

(١) القتاد : نبات صلب له شوك كالإبر من الفصيلة القرنية .

فخجل خد الورد حتى كله من الطل العرق، وكاد خوف الفضيحة
يتستر بالورق، ثم إنه استشاط كمن أطلق من عقل، وسطا على النرجس
بشوكته وقال: يا نفاضة أعلى المحافل، ولقاطه المزابل، كم بين مهتوك
ومصون، ومتروك ومخزون، فجل القضية إنك راجل وأنا فارس، وتقوم
فى الخدمة وأنا جالس، ولولا فجورك وقوة الحدة، ما جئت تزاحمنى فى
الطبقة، وأنشد :

أما وفتور أجفانى السواعس	وتزيينى المحاضر والمجالس
واشراقى لعنتاقى وما قد كسانى	الله من اسنى الملاس
وما قد حزت من نسر شذا	يفوح بطنى انعاس النفائس
لقد عدت طورك فى مقامى	وهل احد بمثلك لى يقايس
أنا فى البسط فاتح كل باب	وخاتم كل زهر فى المجالس
وأن ذقت كؤوس الراح اجلى	على صحبى كما تجلى العرائس
وأن نحن اجتماعنا فى مقام	تقوم فى خدمتى واطل جالس
وأن تك حارسا ما ذاك فخر	فكم مابىن سلطان وحارس
دع التعريض أوضحت فىانى	أراك إذا التقى الجمعان ناعس
وهل للحبيب من حسن إذا	لم يكن للورد فى خديه غارس

فقال النرجس : أنا عيون المجالس، وشموع المجالس، وأنيس النديم،
وقد خلقنى الله فى أحسن تقويم، من أين لك لطفى ودلالى وقد فاتك
لبنى واعتدالى، وبى تشبه عين الحبيب فاعلم، ولأجل عين ألف عين تكرم،
وكثيرا ما بينك وبينى، وأن عدت إلى مثلها سقطت من عيني. وأنشد :

أما وفتور اجفانى النواعس	ولحظ دونه لحظ الكوانس
واحداقى تصيد الأسود صيدا	والباب الرجال لها فرائس

الرشيق إذا بدا فى الروض مايس وتترك مالدريك من الوسوس اجعل ربك المعمور دارس وأزهى فى المجالس للمجالس ولفت له ولا أودى الملامس وإن نام الحبيب فنعم حارس وتقعد عن مقامى فى المجالس أنا راس الزهور فلا تراوس	وعينى الوقاح ولين عطفى لئن لم تنته ياورد عنى رشقتك بسهام عينى و أنا أبهى والطف منك معنى وكم متعته مرأى وشمًا وعن أهل الغرام أغض طرفى أقوم بخدمة الندمان جهدى لفخرك لا أجد وجهها لأنى
---	---

فقال الورد : والذى خلق الإنسان من علق، والبس الخد حلة الشفق،
وضرج الوجنات بحمرة الخجل، ودبج بالتوريد مواقع القبل، لقد جزت
فى القول حدًا، وجئت شيئًا إدا، وتريد أن تميز نفسك بتقديمها، وإنما
الأعمال بخواتيمها، أنا خد الحبيب نصيبى، والراح يتلبس ويتمسك
بذيل طيبى، أتشك فى أن أحسن صفات المدام الوردية، لقد تفته قلبى
من عينك القوية، اتروم تغطى فضلى بغضًا منك وسخطًا، أما سمعت فى
الأمثال أن الشمس ما تغطى، وانشد :

وكم فى قبض ساقى بسط راحه بعين النقص ماذا إلا وقاحه	أنا والراح للأرواح راحه اتغمى عن عيونك إذ ترانى (١)
---	--

فقال النرجس : والذى زين العيون بالدعج، وأرسلها فى فترة
الأجفان إلى المهج، وفضل الإنسان بالعين والعين بالإنسان، وكحل بفنون

(١) اتغمى من عيوبك (فى النسخة ١ ، ج) .

السحر فتور الأجفان، إذا لم ترجع عنى، لأجردن سيفى من جفنى،
وأطيح راسك عن قدمك، وأخضبنك بدمك، ومن أنت فى البين، وقد
أصبح فضلى عليك فرض عين، اتجارينى وجيادى السوابق، وتناظرنى
ونواظرى أحداق الحدائق، وفى فتور أجفانى من السحر فنون، اتشك فى
الملاحه فى العيون. وأنشد :

أنا ما بين أصحابى بعين وفضلى رائج والورد دونى
وفى فى الملاحه كل فن بديع والملاحه فى العيون

فقال الورد : أين السهل من الممتنع، وكم بين المفترق والمجتمع، أنت
تبذل نفسك فتهان، وأنا أعز بصونى عن ملامسة الندمان، وأنت رقيب
على العشاق فى مجالس الطيبة، وإذا رميتهم بعينك يقولون ماذا إلا
مصيبة، أنا ذو الوجه الأقرم، والحد الأزهر، وإذا تأملت عيونك إذا هى
بالساهرة، كيف تناظرنى ولى وجوه يومئذ ناضرة، إلى ربها ناظرة، وأنت
قد ضربت عليك الذلة، وما أصفرارك إلا لعلّة.

فقال النرجس : يا قليل الوفا، ويا كثير الجفا، ألم تعلم أن التخليق^(١)
بالصفرة، من امارات النصره، وقال جماعة من الحكماء: أن من أنحس
الأشكال الحمرة.

فقال الورد : هذا لوني منذ كنت فى أحشاء الأكمام مضغة، صبغة
الله ومن أحسن من الله صبغة.

فقال النرجس : وهذا على فضلى من الشواهد.

(١) التخليق أى التطيب بالخلق وهى العطور.

فقال الورد : ما يصفر منا إلا الحاسد .

فقال النرجس : لم تزل عين كل شيء ، احسنه .

فقال الورد : لا تستوى السيئة ولا الحسنة .

فقال النرجس : ذهبت منك الحجة ، واتضححت لى المحجة ، وأن الدين بفضللى ظاهر لا يختفى ، بحضورى فى حضرة مولانا قاضى القضاة الحنفى .

فقال الورد : وهذا مما يؤيد كلامى ، ويرفع فى الفخر مقامى ، كم بلغت بحضرة المخدم مقصودى ، ولم يزل إلى منهل العذب ورودى .

فقال الراوى : فلما رأيت كلا منهما قد جاء فى حجته بالبرهان والدليل ، ولم يتضح لى أيهما أحرى بالتفضيل ، وضائق على بينهما المسالك ، ورأيت مالكى بالمدينة فلم يُجَزَ لى أن افتى وفى المدينة مالك . لانه فريد عصره فى فضله وأدابه ، وهو الذى يفصل بينهما بفصل خطابه . انتهى والله أعلم

المنظرة الثانية
أنوار السعد ونوار المجد
في المفاخرة بين النرجس والورد

أنوار السعد ونوار المجد فى المفاخرة بين النرجس والورد

مؤلف هذه المفاخرة المولى تاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني، وهى المفاخرة الثانية بين النرجس والورد، وهى تتميز بلغة أدبية أرقى من الأولى، وبعد عرض مميزات وعيوب كل من النرجس والورد فضل المؤلف أن ينتصر الورد على النرجس فى المفاخرة. ونحن ننشر تلك المفاخرة نقلاً عن المرحوم على الجندى الذى حققها فى كتابه «الشذا المؤنس فى الورد والنرجس».

أنوار السعد ونوار المجد فى المفاخرة بين النرجس والورد

للمولى تاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني

أن أول ما وقعت المفاخرة بين غصنين نشأ فى جنة، وبارقتين تألقتا فى
دُجَّة، وزهرتين تفتحنا فى كمامة، وقطرتين صدرتا من غمامة.

ولما كان النرجس والورد قريعى (١) هذه الصفات، وفارعى هذه
الصفاة (٢)، تطاول كل منهما إلى أنه النديم، والخلّ الذى لا يملُّه الحميم؛
طلما عطر بنشره الأكوان، وغازل بعيونه الغزلان، وأنارت شمس سعوده،
وقُبِلت حمرة خدوده، أحبيت أن أقيمهما فى موقف المناضلة
وأشخصهما فى معرض المفاضلة، ليبرهن كل منهما على ما ادعى أنه فى
وطابه (٣)، ويبدى شعائر ما تقلده وتحلى به، فبالامتحان يظهر الزيف،
ولا يقبل الحيف؛ فعندها حدق النرجس بأحداقه، وقام على قصبة ساقه،
وتهيا لمناضلة خصمه، وشرع يبدى شرائع حكمه، وقال:

(١) التريع : النظر.

(٢) الصفاة بفتح الصاد : الحجر الصلد الضخم لا يثبت.

(٣) الوطاب بكسر الواو : جمع وطب وهو سقاء اللبن.

أشبهتُ العيون، وأشبهتُ الخدود فلا فرق، ولقد علمت ما بينهما
مثل ما بين القدم والفرق (١)، فأنا حارس مجلس الشراب، والنديم المعول
عليه بين الأحباب، تسميت بأحسن الأسامي، فلست لي بمسامي،
تسمت بي الحسان، ومِست في حلل مصبغات الألوان، ولو اعتبرت
بحمرة خجلتك، وتشقيق جيوب حلك، ما قمت في موقف المفاخر، ولا
فهمت بينت شفة (٢) في معرض المفاخر.

فتضرج خد الورد حمرة، وأوقد من الغيظ لمناضلته جمره، وقال :
مُت بداء الحسد فقد علاك اصفراره، وأين منك الطرف - كما أدعيت -
لم يَبْدُ عليك احوراره؛ صدقت، ولكن أنت أشبه بالعين المخصوصة
باليرقان ، والصفرة المنوطة بالأبهقان (٣)، فلقد عشت (٤) عيونك السقيمة
من أشعة شموسى، ووقفت على قضب ساقك حيث استقر كرسي
جلوسى، فأنا دائرة الجمال، المشتملة على قطب الكمال، ربتنى
الدرارى (٥) بدّرها، وقلدتنى نفيس دُرّها، فنشرت أعلامى العقيانية (٦)
على زُهرتها (٧)، واشبهت شكلها وحسن زهرتها.

فهز النرجس رماحه الزبرجدية، فتلقاها الورد بحجفته (٨) الذهبية
وقال (٩) : اردد هذه العقود النفيسة إلى هواديه (١٠)، فقد علم كذبك

(١) الفرق : وسط الرأس (٢) ست شمة : كناية عن اللفظة .

(٣) الأبهقان : عشب يطول طولا شديدا، وله وردة حمراء، وورقه عريض ويؤكل، وقيل هو الحرجير
البرى رهه كزهر الكرب ويدره كذره.

(٤) العشا : سوء النصف فى الليل والنهار.

(٥) الدرارى : الكواكب العظام، والعرب نسب الأمطار والرياح إليها.

(٦) العقيانية : الذهبية. (٧) الرهرة : كوكب الرهرة. (٨) الحففة : الترس.

(٩) أى الرحس لا الورد كما يتوهم. (١٠) الهوادى : الأعاق.

حاضرهما وبأديهما . والطم خدودك حزنا على فوات مقامى، وقصورك عن بلوغ مرامى؛ من أين لك مداهن در حشوهن عسجد، لست أبالى بنفسك تصوب أم تصعد . أما ترانى قد نُشرت على رماح من زبرجد، طالما حرست حمى الرياض، وليست أحسن اللباس، وهو البياض، وقمت خطيبا على منبر الصين، وقُلدت إمرة الرياحين، فأنا ناظر (١) هذا الفضل، وناظر هذا الفصل، سبقتك إلى الوجود مكانا أعدم مكانك، ولم يرض زمانى أن يجاور زمانك، لُبثك على وجه البسيطة قليل، وحالك - كما علمت - ليس بالجليل، تتلون كما تتلون الغول، من أحمرك وأصفرك وأبيضك المملول؛ فلقد رماك ابن الرومى بسهام هجائه، وجعلك عُرْضة لنوائب الدهر ولأوائه (٢) حيث قال :

كأنه سرم بغل حين يخرج
إلى البراز وباقي الروث فى وسطه

وحيث مدحنى وقال :

أين العيون من الحدود نفاسة
ورآسة لولا القياس الفاسد

فمثل هذه المسبة لا يضمحل أثرها، ولا ينقطع خبرها، ولله در القائل :

النرجس الغض له رتبة .: أشبه شىء بالعيوان المراض
قام على قضبان مبدىا .: فخاره المشهود بين الرياض

ولو لم أغمض عن مساويك عيني، وأترك للصالح موضعا بينك وبينى،
لكنت أبديت أضعاف مساويك؛ لأتنى فى الرتبة غير مساويك .

(١) الناظر والناظر : حافظ الكرم أى حارسه .

(٢) اللاداء : الشدة والمحة

فَعِنْدَهَا اشْتَعَلَ الْوَرْدُ مِنْ كَلَامِهِ، وَظَهَرَ مِنْ أَثَرِ كَلَامِهِ (١)، وَقَالَ: لَقَدْ
تَعَدَيْتَ طُورَكَ، وَاسْتَعْرِفَ حُورَكَ وَكُورَكَ (٢)، لَكِنْ قِحَّةُ (٣) الْعَيُونِ
مَخْصُوصَةٌ بِالْأَنْدَالِ، وَالتَّجَرَّى عَلَى الْمُلُوكِ مِنْ شَعَائِرِ الْجَهَالِ؛ فَأَنَا سُلْطَانُ
الرِّيَاحِينَ، وَبِذَلِكَ وَقَعَ لِي فِي سَائِرِ الدَّوَاوِينِ، كَأَنَّنِي وَجَنَّةٌ حَبٌّ وَقَدْ
نَقَطْتَ بِدِينَارٍ، أَوْ أَنَامِلُ خُودٍ عِنْدِمِيَّةٍ ضَمَّتْ عَلَى قَرَاظَةِ نَضَارٍ، أَشْبَهَتْ
الشَّمُوسَ شَكْلًا، وَقَفَّتِ الْبُدُورُ مِثْلًا، أَنْظَمَ كَمَا تَنْظُمُ الْعُقُودُ، وَأَصَلَ كَمَا
يَصِلُ الْحَبِيبُ بَعْدَ الصَّدُودِ.

وَأَمَّا اقْتِخَارُكَ بِالْحِرَاسَةِ، فَهِيَ مَحَلُّ الْأَسْقَاطِ، وَالْوُضُوفِ الْمُنَوَّطَةِ
بِالْأَنْبَاطِ، أَمَّا كُورُكَ سَبَقْتَنِي فَهُوَ عَلَى حُكْمِ الْحُجْبَةِ، وَالْمَبْشَرِ بِوُصُولِي،
وَأَنْ كَانَ أَضْمَرَ بَغْضَهُ لَا حُبَّهُ، فَلَمَّا عَلِمَ أَنَّ حَطَّ رَحَالِي حَثَّ رَحَالَهُ،
وَأَشَاعَ فِي أَصْحَابِهِ ارْتِمَالَهُ، وَقَالَ: قَدْ أَظْلَلْنَا وَصُولَ مَلِكٍ لَا يَجَارِي،
وَرَأَيْتُ لَا يَبَارِي، وَأَيْنَ زَمَانُكَ مِنْ زَمَانِي، وَمَكَانُكَ مِنْ مَكَانِي، لَا أَظْهَرُ
إِلَّا وَالثَّرَى قَدْ اكْتَسَى سِنْدَسِي أَدِيمَهُ، وَفَاحَ مَسْكِي نَسِيمَهُ، وَخَطَبَتْ
أَطْيَارُهُ، وَاخْضَلَّتْ أَزْهَارُهُ، وَصَدَحَتْ بِلَا بَلِّهِ، وَتَأَرَّجَتْ خُمَائِلُهُ،
وَاطْرَدَتْ أَنْهَارُهُ، وَتَعَانَقَتْ أَغْصَانُهُ وَأَشْجَارُهُ، وَبَزَغَتْ شَمُوسِي فِي فَلَكَ
غِيَاظِهِ، وَتَكَلَّلَ خَدْيُ عِرْقًا مِنْ أَنْدَاءِ رِيَاظِهِ، فَأَنَا بَيْنَهَا الطَّرَازُ الْمَذْهَبُ،
وَالْمَلِكُ الْمَعْظَمُ الْمَهْذَبُ، إِذَا بَرَزْتَ فِي لِيَالِيكَ الْمَعْتَمَةِ، وَظَهَرْتَ فِي
أَرْضِيكَ الْمُقْتَمَةِ، وَسَهَرْتَ عَيُونَكَ فِي لَيْلِ شَتَائِكَ وَقَاسَيْتَ بَرْدَ مَائِكَ،
وَطَوَّلَ عَنَائِكَ؛ وَلَكُمْ بَيْنَ الشِّتَاءِ وَالرَّبِيعِ، كَمَا بَيْنَ الرَّئِيسِ وَالْوَضِيعِ،

(١) الْكَلَامُ بِالْكَسْرِ: الْجَرَاحُ: جَمْعُ كَلِمٍ بِالْفَتْحِ.

(٢) الْحُورُ يَفْتَحُ فَيَسْكُونُ: النِّقْصُ. وَالْكُورُ يَفْتَحُ سَكُونًا كَذَلِكَ: الزِّيَادَةُ.

(٣) قِحَّةٌ: الرِّقَاحَةُ، وَهِيَ عَدَمُ الْحَيَاءِ.

يا جبلى الطباع، لقد صرتك رياحى^(١)، وصفرت عينك حمرة خمرة
ارتياحى.

وأما ثلبك^(٢) بقصر مدتى، وسرعة بلى جدتى، فدلّيل على عدم
عقلك، وسقوط معقولك ونقلك، أما علمت : أن المكثّر للزيارة مملول،
وعقد وده محلول؛ لو بقيت الشمس على الدوام، لملتها أنفوس الأنام،
ولك بذلك عبرة، وأنت فى هذا الوطن من أهل الخبرة. لما أقمت ملك
الناشق، ولم يُعرج عليك العاشق؛ ولقد عجبت من رقاعة عصبت رأسك
بالحماقة، وأدعيت شبه العيون، وأنت أشبه شىء بصفرة بيض على رقاعة.

أين ذهبت عينك لم يبق لك أثر، كلا ولا يوجد لمجدك خبر، لكن أنا
إن ذهبت عينى، فأثرى على أردان الأماجد يفوح، وعلى ممر الأعصر
يغدو ويروح، فأنا أثر بعد عين، فدع عنك التحلى بالمين، ولله در القائل :

ياحبذا الورد مذحيا بطلعته .: وعطر الأفق منه نشره العبق
كالشمس شكلا، ونشر المسك رائحة .: واللؤلؤ الرطب فى تضريحه عرق

فعميت عيون النرجس من بزوغ أنواره، ونُكّست أعلامه الزبرجدية
لنضارة نواره.

فعندها قال الورد : هذه الشقراء والميدان^(٣)، إن كانت لك خبرة
بمبارزة الأقران.

فلما أورده لظى الحرب، ولم يكن من رجال الطعن والضرب، وألزمه

(١) صرتك : أصابك الضر بكسر الصاد وتشديد الراء - وهو البرد. أو صرتك : جمعتك وجعلتك متقبضا
حرنا وأسفا.

(٢) الثلب : اللوم والعيب. (٣) يتحداه أن يركب فرسه الشقراء وينازله.

الحجة، وعرفه المحجّة، وبان بهرجه من إبريزه (١)، وتحقق مواد تبريزه (٢) دمعت عينه أسفا، على ما أبداه من الجفا، ثم قال: ما أنا أول باحث بظلفه (٣) من حتفه وجادع مارن أنفه بكفه، لقد قيل: عادات السادات، سادات العادات، وعادة الملك - أدام الله انهمار السحب على خمائله الذهبية، وأطلع في فلك الاعتلاء أنواره الشمسية، الصفح عمن كثر ندمه، وزلت قدمه، ومن نشر أعلام الاستغفار، خليق أن يقبل منه ما يبيديه من الاعتذار. وما أنا أول من هفا، ولا أنت أول من عفا، ليت شعري: أين حياؤه من وقاحتى، وأين رشاقته من كثافتى، الخفاره (٤) لائحة عليه، وأمور الرياحين تساق إليه.

فعندها قال الورد: من شأننا الصفح عما أتيت، فقد جنيت ثمار الندم بما جنيت. فكن قرير العين، ولا تعد لمثلها فالمؤمن لا يلدغ من جحر مرتين، واحذر أن تطاول من هو أعلى منك محلّة، وأبهج فى ارتداء السيادة حلّة.

الآن قد تولد من بياضك وحمرتى اجتماع، والتأم شعث (٥) أمرنا بعد أن طار شعاع. أما علمت أن الأمتحان، يظهر رتبة الإنسان، ومن سعادة جدك، وقوفك عند حدك، فكن لما قلته بالمرصاد، وأن عدت لمثلها فترقب أول «النحل» وآخر «صاد» (٦).

ونسأل الله أن يهدينا إلى الرشده، وأن يذهب عنا ضغائن الحسد، بمنه وكرمه إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة قدير.

(١) البهرج يفتح فسكون ففتح: الباطل والردئ والابرز - الذهب الخالص.

(٢) التبريز: السبق. (٣) الطلغ بكسر فسكون للقرة والشاه والظبي وشبهها. عملة القدم للإنسان

(٤) الخفارة: الحياء. (٥) الشعث: انتشار الأمر.

(٦) أول سورة النحل «أتى أمر الله» وآخر صورة صاد «ولتعلمن نبأه بعد حين»: أى ترقب قيام القيامة عليك.

المنظرة الثالثة

مفاخرة الورد مع التسرين

مفاخرة الورد مع النسرين

هذه المفاخرة مخطوطة فى مجموعة عز الدين المقدسى وهى فى الأغلب تنسب إليه وقد نقلها السيوطى عنه فى كوكب الروضة .

وهى دراما على لسان راوى لها حزين على فراق الحبيب، فىدخل روضة حافلة بالزهور والرياحين والأشجار، لعل ذلك ينسيه ألم الفراق فىمر بين الأزهار ويستنطق ألسنتها فىصل إلى عقدة الدراما والموضوع الأساسى لها وهى معركة كبيرة بين الورد والنسرين على الزعامة بين الأزهار والرياحين، فىرسم لنا الراوى صورة حية لتلك المعركة بين جيشيهما إذ كان لكل منهما أعوان من الأزهار والفواكة والنقل تساعده فى الحرب والقتال، ووقف البعض موقف المترقب، والبعض مثل الجوز « كان بينهما بوجهين » فى المعركة، وقد انتهت المعركة بانتصار الورد وإعلانه سلطانه على جميع الورود والأزهار والرياحين، وعفوه عن النسرين وإعطائه مكانة تليق به تليه فى الرتبة بأن جعله أميرا على الأزهار. ثم أتت الأزهار والرياحين والفواكة والنقل لتهنئة الورد بالملك والسلطنة، ثم يتحقق للراوى أمله وحلمه بالتقاءه مع حبيبه فى بستان جميل .

وهذه المفاخرة صورة صادقة للأدب المملوكى بالفاظله ومعانيه وصوره البيانىة، وتمثل طبيعة العصر المملوكى المتميز بالصراعات .

مفاخرة الورد مع النسرين

بسم الله الرحمن الرحيم

ابتدئ في النظام بالصلاة على أشرف الانام، الذى أظهر الإسلام بمد
تسام، وبعد هذا أصف لكم قصتى الغريبة، واحوالى العجيبة، الله يعلم
بى يوم فراق الأحباب، وتعذيب قلبى المصاب، بكيت حتى ابتل من دمع
بنى التراب، وعدمت طعم الطعام والشراب، فلما كشف جسمى النحول،
جرى دمعى سيول، علمت أن شرح الغرام يطول، فأنشدت أقول:

يا كوى قلبى فراق أحببى .. وغادرنى صبرى عدمت وجودى
ساديت أيام الوصال تعطفى .. وحنى على مضنى الغرام وجودى

قال : فسرت فى أثر سيرهم، وقلبى لا يميل إلى غيرهم، فلم ألق إلا
طريق، من غير صديق ولا رفيق، فاخترت الدخول للرياض فى السحر،
مى تنتفى عنى الهموم والفكر، فدخلت إلى روضة رائقة، وزهرة لائقة،
لمى أتنشق ريح الأزهار، وأسمع حنين الأطيوار، فوجدت النسيم فى
روض حائر، والدولاب^(١) عليه دائر، ورأيت عيونا جارية، وأغصانا
هية، وطيورا متناغية، وورد وبان، وزهر وأقحوان، فانشرح صدرى،
إلى عنائى وفكرى، ولكنى تذكرت خد الحبيب برؤية الورد النصيب،

(الدولاب : الساقية).

فجئت له مسائل، وهو بلطف النسيم مائل، فقلت له : مالي أرى ظاهرك
أحمر، وباطنك أصفر، كأنك مثلي عاشق، أيها الغصن الشاهق. فقال :
وأنا كما تقول، فلا تظن أن قولي مجهول، فأنشدني شيئاً يعجبني
فأنشدته مقطوعاً لطيفاً، مختصراً ظريفاً :

تمايل الورد عجباً في غلائله :. مذ حركت نسيمات الصبح ساكنه
فاحمر من عظم نار الوجد ظاهره :. واصفر من كتم سر الحب باطنه

ثم التفتُ إلى النسرين ، من بين تلك الرياحين، فوجدته متكئاً على
سرير أخضر، ورائحته أزكى من العنبر، فلحقتني منه رائحة من روائح
الأحبة، فذكرتني ماضى من المحبة، فقلت ما أذكى تلك الرائحة، التي
في الرياض فائحة، فوالله لولا الورد صاحب الشوكة في البستان، لكنت
تصلح أن تكون على الزهور سلطان ثم رجعت مائلاً، وأنشدت قائلاً :

لمابداً تحر النسرين فاح له :. نشر يعادل ريح المسك بعبقه
فخلت مذهب نشر منه عطرني :. كأنه من شذا الأحباب انثقه

ثم ابتدأت على اليمين، حتى انتهيت إلى الياسمين، فوجدت خامه^(١)
في الروض مضروب، وهو عن الزهور محجوب، وقد ألبسه الله خلعة من
التصافى، وجعل قلبه أبيض صافى، فقلت : والله ذكرتني جسم الحبيب،
وأجريت دمعى من جفونى صبيب، ثم أنشدته مقطوع، وأنا شارق
بالدموع :

لما تبدى غصين الياسمين بكى :. طرفي فاسقيته من أدمعى^(٢) غدقا
فقلت لاح بياض منك يعجبني :. كأن جسم حبيبي منك قد خلقا

(١) خامه : حيامة. (٢) دمعى فى ١، هـ.

قال : ثم رأيت البان قضيب ملتحف، يميل مع النسيم من الهيف،
بتعجب فى الميلان، كأنه قضيب خيرزان، فقلت : قوامك حركٌ عندى
الهوى، ولونك يشبه لونى سوا. ثم أنشدته :

غصن من البان قد تبدى : رأيته زاد فى جفونى
قوامه مثل قد حبى : ولونه بالضنا كلونى

ثم رأيت الآس ظريف الشمائل، مظفر الدلائل، قد ذهت أغصانه،
وامتدت قضبانها، وسبب النسيم ضفائره، وترنم بالتغريد طائره، وقلت :
ما اشبهك بصفائر شعر الحبيب، فاسمع ما قال الكئيب :

عجبت من غصن آس ماس من طرب : قد جد فى النوح والتغريد طائره
وهب فيه نسيم الصبح فخيّل لى : بأن حبى قد أرخى صفائره

قال : فبينما أنا مفكر فى نسمات الأسحار، ونغمات الأطيّار، وروائح
الأزهار، وألوان الأشجار، والعود يثن من كبّد حزين، وأنشد شرح حاله
يقول :

أنا القطيع الرجيع الساهر العانى : أنا المغرب عن أرضى وأوطانى
أنا الذى كنت غضا يافعا خضرا : جار الزمان على ضعفى فأرمانى
يا طول ماماس قدى فى غلائله : مذ حركت نسمات الصبح أغصانى
أصبحت أمرغ خدى فى التراب : على مانابنى من صبايات وأشجان
فطال نوحى وأقلقّت الأنام ولى : عين على ما جرى تبكى بغدراى
يالهدف قلبى حريق النار من عطش : والأرض ريانة من فيض أجفانى

فتأوه القلب من مقاله، وقال له حالك بحاله، إذا لاح كان العود

يشتكى الفراق، فجميع الناس عشاق، فنسيت الهوى، وتركت الصبابة والنوى، وراجع طرفى المنام، وتبت عن العشق والغرام، فبينما أنا منشراح فرحان، إلا ونسيم البان قد هب على الأغصان، فتمايلت شجرة من شجر الرمان، فرأيتها ترفل فى ثوب أخضر مقمعة البنان، بأحمر قد هزت قدها، وأبرزت نهدها، فأخذتنى الفكرة، من تلك النظرة، ونسيت كلام العود، وأبدلت فى طلبها المجهود، فأنشدت تلك الشجرة بأبيات مفتخرة :

رمانة خطرت فى ثوب مرسين .: كادت من اللطف والتاويد تسبيني (١)
فالقد والنهد والتخضيب من يدها .: سهم وجدت خيال الحب فى عيني

فضاقت بى السعة، من كثرة الهموم المتبعة، فاقتصرت كثير المقال، بمقطوع فى شرح الحال :

يا قلب لا ترنى الأفراح مغتضبا .: إن الحزين حزين ليس ينشرح
ما سر عينان مما أبصرت فرحا .: إلا وقد ضرها من بعده ترح

فقلت : لما رأيت الروض الخصب، ذكرنى محاسن الحبيب، فاخترت
الرحيل من ذلك المكان، فصرت أودع الأغصان، بهذه الأبيات الحسان :

ياصاح كل غصين فى الرياض غدا .: يزهر بقماته فى ثوبه الخضر
مشربشين بتيجان الزهور كما .: تجلى العرائس فى حلى الزهر

ثم عزمت على الرحيل والرواح، وأنا ذاهب الإنشراح، إلا وقد هب
نسيم الصباح، وتبسمت ثغور الأقاح، وعبق المشموم وفاح، فانطبع كل

(١) التاويد : الاعرجاج والاثناء والانحناء.

غصن فى زهره، وافتخر بزكاء نشره، فعجب النسرين فى ذاته، من رائقته وصفاته، وضحك وتبسم، وقال مع النسيم ورتم ، وأنشد :

أيا مجمع الأحباب ميلوا لنحوى .: واسمعوا جهرا ندأى
فهل للعنبر المسكى نشرى .: وهل للروض سلطان سواى
فعند ذلك قال له جيش الورد: هأنت بنفسك غلطان، هل للروض
غير الورد سلطان، فأخذ فى نفسه ذلك الكلام، وأراد مع الورد الخصام،
وكثر بينهما النمام.

فلما سمع الورد بذلك اهتز وماج، وخرج من السياج، وقرب من
النسرين يشاجره، وبين قومه وجندى يفاخره، فقال له وهو زائد
الأحمرار، مفكك الأزارار: ويلك ، تعلو علىّ فى البستان، وأنا فى
الروض سلطان .

فقال له النسرين: أنا الذى فى الروض أذكر، ورائحتى كالمسك
الأدفر ويحشى بى العنبر.

فقال له الورد: ويلك يا ضعيف الجسم، يا قليل القسم، أنا سلطان
الزهور، المحضر فى الصدور، أنا الورد المذكور.

فقال له النسرين: كم تقل قدرى، وتروم قتلى واسرى، ما أكثر
كلامك يا جمرى.

فعند ذلك أخذ الورد الحنق، وظهر من بين الورق، وقرب إليه،
واحمرت عيناه عليه، وقال له: أنت محزون يا كثير الجنون، كيف
تهددنى ولى من الخواص فنون، مائى يصلح العيون، وورقى بالدخول
معجون، وطال بينهما الكلام، ودخل عليهما الظلام، فانصرف كل منهم
إلى مكانه، وقص ما جرى له على قومه وفرسانه، وباتوا متجهزين للحرب

والكفاح، إلى أن أصبح الصباح وانهزم الليل وراح، وازهر النهار ولاح، ونحن نصلي على سيد الملاح.

قال : فعند ذلك أمر النسرین بجمع العسكر، فانهزم أكثرهم وتأخر، مراعاة للملك الأحمر، ثم ضحك استهزاءً وازدراءً بالورد وكركر، وقال : أنا منه بالحرب أخبر، وأقنع بما تيسر، واليوم يبين لكم الأخطر.

قال : فعند ذلك أطاعه البان، وجاءه من أوراقه عريان، والسرو مشمر عن ساقه، والأقحوان يرمق بأحداقه، واتشح البنفسج بوشاحه الأزرق، وجاء الموز بأعلامه الخضر تخفق، وانتظم الحال، وبرزوا للحرب والقتال.

قال : فعند ذلك دعا الورد بالوزير، ليستشيره في ذلك الأمر والتدبير، ثم أمر بعبده ريحان، أن يحضر بين يدي السلطان، فما استتم الكلام، حتى ضربت الخيام، ونصبت الاعلام، وتزلزلت الأقدام، من الوقوف بين الانام، ثم بدأ بالسلام، وقبل الأقدام، وقال : لا تخش من شيء يؤذك، والله ينصرك على من يعاديك، ورجع من عنده، إلى جيشه وجنده ثم أمر الشنبر أن يعلق الشواليش^(١) السلطانية ويحمل السيوف الهندية، وامتد القصب كالرماح الخطية، واكتست الأرض بالخيول والدروع الداوودية، وحمل الترنج الخوذ الذهبية، وجها الكباد الحجارة الكفية، وظهرت الفرسان المسمية، وتقاسمت الزهور نصفين، وكان الجوز بينهم بوجهين، وشاعت الأخبار، وتناغت الأطيّار، وانفتحت عيون الأزهار، وعلق النارنج ستائر من نار، وقال الليمون : أنا أريهم النجوم بالنهار، فعند ذلك عظم الزعيق، وافترق الرفيق من الرفيق، وأنكر الأخ الأخ الشقيق، وأصبح التوت في دمائه غريق، وسقط النارنج من علوه وانخرط، وصاح

(١) الشواليش : الاعلام.

من لونه حتى انشطر، واقبل اللوز وهو شديد القوة، عظيم المروة، وقال للورد: لا تخف ولا تفزع، الباغي له مصرع، فاركب ولا تتمهل، واعزم وتوكل . قال : فعند ذلك ركب الجيشان وتطارقت، والتفت الأغصان وتطابقت ، وجرت القنا كالخيول وتسابقت، وشب النسيم وبان الشجاع الكريم، وانهزم العديم، فالحكم لله الصمد القديم،

ولازال الحرب والطعان، فى حومة البستان، حتى اشتهرت الفرسان، وبان الجبان، وصاح النسرين: الأمان الأمان

قال : فلما بلغ الورد أن النسرين قد ارتعدوا وانذهلوا، واصفر وجهه حياءً وخجل، وندم على ما فعل، احمرت من الفرح وجنتاه، ثم انه ضحك حتى استلقى على قفاه، وانشد على ما أولاه:

أيا نسرين ماذا الأمر حتى .: فعلت بين الأسى مالا يلائق
وكان زماننا صافئ وكنا .: كإخوان فتحسدنا الشقائق

قال : فما استتم الورد من شعره، حتى علم النسرين بأمره، فتندت عيناه بماء الثبور، وأصبح دمه فى الروض منشور، ثم إنه ندم على المقابحة، وأراد بهذه الأبيات المصالحة :

أيا ورد سامحنى بما قد جنيته .: فأنت على طول الزمان رفيقى
وإن جسدنا فى الرياض شقائق .: فإنك خير من أخى وشقيقى

قال : ثم أنه ترجل بين يدي الورد وهو منكس الاعلام، متحفى الأقدام، فاعتنقه الورد وأحسن إليه، وترك إساءته عليه، ثم قال : إن فى الصبر حلاوة، ولا صلح إلا بعد عداوة.

قال : فعند ذلك حصل بينهم الاتفاق، وهب عليهم النسيم وراق،

ومالت القضب للصلح والعناق، وفرغ الحرب وانفصل، وتقطعت أشجار
الكرم بالخصل، وشبت الريح بأطراف الأغصان، وصفقت حواشي
الغدران، وعظمت الأفراح، وذهبت الأتراح، واحمرت وجنات التفاح،
وصيغت من النوفر أقداح، ودعوا بالراح، فدارت لهم الساقية، وصارت
بينهم جارية، فخفى منهم الخطاب، وطال بينهم العتاب، وانشرح كل
منهم وطاب، وشقق الزهر عنه الأثواب، وغضت عيون النرجس حياء
وأداب، وجاءت لتهنئة الورد الفرسان والأصحاب، فأول من دخل عليه
الزهر وهو زائد في ابتسامه، يضحك في أكمامه، أعلامه الخضر تخفق،
وثوبه في الحرب تشقق، وعليه من أغصانه رونق، ثم تقدم إلى الورد
وسلم، وجلس بين يديه وترجم، وأنشد :

يادولة الورد أن كانت مصيبتكم هانت علىّ فلا واصلت احبابي
لو لم يكن هول ذاك اليوم روعني مازاد حزني ولا شققت أثوابي
ثم انصرف .

وأقبل اللوز على جواد أخضر، وهو شائش في العسكر يضحك
ويتكسر، ففاق في حلاوته السكر، فابتدأه الورد بمقاله، فشكره على حسن
فعاله، وقال له : أعدّلى الأبيات التي نشيت بها في الحرب جناني، حتى
أمدك اليوم بإحساني، قال : فعند ذلك دنى بقربه، وصاح من قلبه، وأنشد :
أنا اللوز مرّ في المذاق أبو القوي ولي في شديد المعركات عوائد
فإن خلت الفرسان عنك فيأني عليك بناموس الشجاعة عاقد
ثم أنه انصرف،

وأقبل التفاح، مخضبا بدم الكفاح، قد بان عليه النصر ولاح، ثم
ترجل في الحضرة، وتدحرج كالأكرة، وأنشد يقول :

نهار المعركات بكى حسودى .: ورنحنى الهوى وهزرت عودى
واجريت الدماء فى الأرض حتى .: غرقت به وأثر فى خدودى
ثم انه انصرف .

وأقبل البرقوق ولونه أحمر، وهو يتراب الحرب مغبر، وعوده محترق من
الحر، وجال بينهم وتجسر، وجالسهم فى المحضر، وأنشد يقول:
نيران عشقى صيرتنى مثل .: الرقيق مسودا ولكنى
قاتلت باللحم فلما انتهى .: حالى بكم بان النوى منى

ثم انه انصرف

وأقبل السدر وهو لطيف الكون، مصفر اللون خائف من النمل إذا
دب، والهوا إذا هب، حتى أقبل على الورد فسلم عليه، وتمثل بين يديه،
فقال له الورد: مالى ما رأيتك يوم الحرب والمعمعة والضرب، فقال: ليس
لى على الحرب قوى، وأسقط من هز الهوى، وأقل من لطشة، تخرطنى
بالكبشة، لكن أزيدت وازغبت، ودعوت لك بالنصر على عادتك،
وأردت أن أموت فى حياتك، وأنشد يقول:

قلنا لجيش الورد لما بدا .: فى شعلة الحرب بنا رفقا
دعنا نمت تحت لواءكم .: ولا نعيش من بعدكم ولا نبقى

ثم انه انصرف .

وأقبل المشمش وعليه ثوب من الزمرد الأخضر، مرصع بالذهب
الأصفر، وهو يمشى ويتخطر، إلى أن وصل إلى الورد فى المحضر، فسأله
الورد عن حاله، وكيف أصبح فى حربه وقتاله. فقال: قد كنت قدر ما

أنا مرتين، فأصبحت على الثلثين، ولكن أنساني، فرحكم أحزاني،
وانشد :

على أعدائكم رماني الهوى :. فصاحت الفرسان منى الأمان
لأجل ذا أصبحت من فرحتي :. أخطر في ثوب من الزعفران
ثم انه انصرف .

وأقبلت الثامرة تمشى وتتخطر، في ثوب خز أطلس مدثر، وهى بين
الغصون تتجلى، كأنها عروس فى حلى، زائدة الفرح والسرور، حتى
انتهت إلى سلطان الزهور، فأحسنت سلامه، وقبلت أقدامه، فقال لها
الورد: أين كنت يوم الحرب عنا، لا شفقة عليك ولا حنًا، وأطرقت منه
حياءً وأنشدت تقول:

لو أننى فى الروض أدعى بذى :. شجاعة والحرب فى قدرتى
جمحت بالسيف نهار الوغى :. روس أعدائك من حبتى

وصار كل غصن من الروض يأتبه، ويسلم عليه ويهنئه، فشكرهم
وأنصفهم غاية الإنصاف، وأمرهم بالإنصراف، وانقطع ذلك النهار
بالسرور، على أنس وزهور وكاسات تدور، ورجع كل غصن إلى حاله،
واستقر النسرين أمير، والياسمين وزير، هذا ما تقدم من المفاخرة،
والحروب النائرة.

ويرجع الكلام العجيب، المطرب الغريب، إلى ذات الجمال وبدر
الكمال، ولفتة الغزال، من قطعت القلب بالانصال، واكست الجسم ثياب
الانحلال، انها نزلت ذات يوم من جلوس الديار، وشرب العقار، فى

الليل والنهار، فقالت لا بد لى اليوم من رؤية حديقة، فى روضة أنيقة،
بنسمة رقيقة، لعل ينشرح قلبى، واسمع خبر عن حبيبى، فاقلبت
الصندوق، عن القد الممشوق، فأخجلت البدر عند الشروق، واسرعت
المسير متولعه بالروض والغدير، قامت الطريق بامكان، إلى ذلك البستان،
فتلاقينا تلاقى العشاق، وتعانقنا عناق المشتاق، فاردت اشكى لها لىالى
الفراق، وعدم التلاق، وسهر الأحداق، بهذه الأبيات الرقاق :

أتذكر لىالى البين حتى : . يدكرنى الأسى مسها أقول
فكل يشتكى منا عتابا : . لكم ولها ولى شرح يطول

فقلت لها : دعينا ننشرح ونطيب، فى هذا الروض الحبيب، فقالت :
رُبّ واشٍ أو رقيب، فوعدت بالوعيد القريب، وها أنا تحت وعدا الحبيب
وبالأحسان عمت .

المناظرة الرابعة
رسالة في تفضيل الورد على الأزهار
ورسالة ترد عليها في تفضيل النرجس

رسالة فى تفضيل الورد على الأزهار ورسالة ترد عليها فى تفضيل النرجس

الرسالة التى فى تفضيل الورد كتبها أبو حفص عمر بن برد الأصغر
خاطب بها ابن جهور الأندلسى، ووصف فيها خمسة من الأزهار،
ففضل الورد عليها، قال :

أما بعد يا سيدى ومن أنا أفديه، فإنه ذكر بعض أهل الأدب المتقدمين
فيه، وذوى الظرف المعتنين بملح معانيه : أن صنوفا من الرياحين، وأجناسا
من نوار البساتين، جمعها فى بعض الأزمنة خاطر خطر بنفوسها، وهاجس
همس فى ضمائرهما، لم يكن لها بد من التفاوض فيه والتحاور، والتحاكم
من أجله والتناصف، وأجمعت على أن ما ثبت فى ذلك من العهد، ونفذ
من الخلف، ماض على من غاب شخصه، ولم يثن منها وقته، فقام
قائمها، فقال : يا معشر الشجر، وعامة الزهر، أن اللطيف الخبير الذى خلق
المخلوقات وذرا^(١) البريات، باين بين أشكالها وصفاتها، وباعد بين
منحها وأعطياتها فجعل عبدا وملكاً، وخلق قبيحا وحسنا، وفضل على
بعض بعضا، حتى اعتدل بعدله الكل، واتسق^(٢) على لطف قدرته

(١) ذرا : خلق .

(٢) اتسق : اجتمع .

الجميع، وإن لكل واحد منها جمالا فى صورته، ورقة فى محاسنه، واعتدالا فى قده، وعبقا نسيمه، ومائية فى ديباجته، قد عطفت علينا الأعين، وثنيت إلينا الأنفس، وزهت بمحاضرنا المجالس، حتى سفرنا (١) بين الأحبة، ووصلنا أسباب القلوب، وتحملنا لطائف الرسائل، وصيغ فينا القريض، وركبت فى محاسننا الأعاريض، فطمع بنا العجب، وأزدهانا الكبر، وحملنا تفضيل من فضلنا، وإيثار من آثرنا على أن نسينا الفكر فى أمرنا، والتمهيد لعواقبنا والتطبيب لأخبارنا، وادعينا الفضل بأسره، والكمال بأجمعه، ولم نعلم أن فينا من له المزية علينا، ومن هو أولى بالرأسة منا، وهو الورد الذى إن بذلنا الإنصاف من أنفسنا، ولم نسيح فى بحر عمانا، ولم نمل مع هوانا دنا له ، ودعونا إليه، فمن لقيه منا حياه بالملك، ومن لم يدرك زمن سلطانه ودولة أوانه، اعتقد ما عقد عليه ولبى إلى ما دعى إليه، فهو الأكرم حسبا والأشرف زمنا، إن فقد عينه لم يفقد أثره، أو غاب شخصه لم يغب عرفه (٢)، وهو أحمر والحمرة لون الدم، والدم صديق الروح، وهو كالياقوت المنضد، فى أطباق الزبرجد، عليها فريد العسجد، وأما الأشعار فبمحاسنه حسنت، وباعتدال زمانه وزنت!!

وكان ممن حضر هذا المجلس من رؤساء النوار والأزهار : النرجس الأصفر، والبنفسج، والبهار، والخيرى؛ فقال النرجس الأصفر:

والذى مهد لى فى حجر الثرى، وأرضعنى ثدى الحيا، لقد جئت بها (٣) أوضح من لبة الصباح، وأسطع من لسان المصباح، ولقد كنت أستر من التعبد له والشغف به، والأسف على تعاقب الموت دون لقائه (٤)،

(١) سفر : أصلح . (٢) العرف . الرائحة .

(٣) جئت بها أى بفضل الورد، أى أحسنت إقامة الدليل .

(٤) دون لقائه : لأنه قلما أن يحتجم النرجس والورد .

ما أنحل جسمى ، ومكن سقمى ، وإذ قد أمكن البوح بالشكوى ، فقد
خف شغل البلوى .

ثم قام البنفسج فقال : على الخبير والله سقطت ، أنا والله المتعبد له ،
والداعى إليه ، والمشغوف به ، وكفى ما بوجهى من ندب ، ولكن فى
التأسى بك أنس .

ثم قام البهار فقال : لا تنظرن إلى غضارة نبتى ؛ ونضارة ورقى ، وانظر
إلى وقد صرت حدقة باهته تشير إليه ، وعينا شاخصة تندى بكاء عليه :

ولولا كثرة الباكين حولى .: على إخوانهم لقتلت نفسى

ثم قام الخيرى فقال : والذى أعطاه الفضل دونى ، ومدله بالبيعة يمينى ،
ما اجتترأت قط إجلالا له ، واستحياء منه ، على أن أتنفس نهارا ، أو
أساعد فى لذة صديقا ولا جاراً ، فلذلك جعلت الليل سترأ ، واتخذت
جوانحه كنأ .

فلما استوت آراؤها قالت : إن لنا أصحابا ، وأشكالا وأترابا ، لا نلتقى
بها فى زمن ، ولا نجاورها فى وطن ، فهلم فلنكتب بذلك عقدا ينفذ على
الأقصى والأدنى .

فكتبوا رقعة نسختها : هذا ما تحالف عليه أصناف الشجر ، وضروب
الزهر وسميها (١) وشتويها ، وربيعها وقيظيها ، حيث ما نجمت من
تلعة (٢) ، أو ربوة ، وتفتحت فى قرارة (٣) أو حديقة ، عندما راجعت من

(١) وسميها : التى سقاها الوسمى ، وهو مطر الربيع الأول .

(٢) التلعة : ما راتقع من الأرض وتردد فيه السيل ، وهى مكreme النبات .

(٣) القرارة : كل مطمئن من الأرض يندفع إليه الماء .

بصائرها، وألهمت من رشادها، واعترفت بما أسلفت من هفواتها، وأعطت للورد قيادها، وملكته أمرها، وعرفت أنه أميرها المقدم بخصاله فيها، والمؤمر بسوابقه عليها، واعتقدت له السمع والطاعة، والتزمت له الرق والعبودية، وبرئت من كل زهر نازعته نفسه المباهاة له ، والانتزاء^(١) عليه في كل وطن، ومع كل زمان، فأية زهرة قص عليها لسان الأيام هذا الحلف، فلتتعرف إرشادها منه^(٢)، وقوام أمرها به، ولتحمد الله كثيرا على ما هداها إليه، واستنقذها من الضلال بتبصرته، ولتشهده في اعتقادها، والله شهيد على الجميع.

شهادة النرحس :

شهد النرحس والله يرى .: صحة النيات منها والمرض
أن للورد عليه بيعة .: أكدت عقدا فما إن تنتقض

شهادة البنفسج :

شهد البنفسج أنه .: للورد عبدٌ تملك
يسعى بقلب ناصح .: في حبه مُستهلك

شهادة البهار :

شهد البهار وذو الجلالة عالم .: بصحيح ما يبدي وما يخفيه
أن الإمارة في الأزاهر كلها .: للورد لا يؤتى له بشبيه

(١) الانتزاء التوثب : يريد الخروج على إمارته.

(٢) الصمير للحلف والعهد الماحود

شهادة الخیری :

شهد الخیری برأ صادقاً .: قوله أبعد عنها الدرك
أن أزهار الثرى أجمعها .: أعبد والورد فيها ملك

الرسالة فى تفضیل البهار «النرجس» على الورد

انبرى أبو الوليد الحميرى للرد على أبى حفص بن بُرد فى تفضيله الورد
على الأزهار، فكتب رسالة طويلة يخاطب بها ذا الوزارتين القاضى،
مشملة على وصف سبعة من الأزهار، وهى البنفسج، والنرجس،
والخیرى «النمام» والأقحوان، والخیرى الأصفر، والبهار «النرجس
الأندلسى» والورد، وقد فضّل البهار على الجميع.

وبدأ فقال ما معناه : أول من رأى ذلك الكتاب (١) .. نواویر فصل
الربيع التى هى جيرة الورد فى الوطن، وصحابته فى الزمن، فلما قرأته
أنكرت ذلك وسفهت رأى من كتبه، ورأت أن تكتب إلى الأقحوان
والخیرى الأصفر فى محو هذا المنكر!!

وصفوة ما كتبه : من نواویر فصل الربيع الأزهر، إلى الأقحوان
والخیرى الأصفر: بسم الله الرحمن الرحيم . وصلت إلينا بیعة اشترى بها
من سعى فيها خسران الدنيا والآخرة .. ولو استحق الورد إمامة، أو
استوجب خلافة، لبادر بها أبناؤنا، ولعقدها أوائلنا، التى لم تزل تتجاوره
فى مكانه، وتجئ معه فى أوانه .

ثم أحال على المباعين باللوم والتعنيف ، لأنهم بادروا إلى مبايعة الورد

(١) يريد بالكتاب : كتاب البيعة للورد.

عن جهل، ولم يتثبتوا فى ذلك ولم يشاوروا أحدا، وقدموه على من هو أحق منه، هو نور البهار، البادى فضله بدو النهار، والذي لم يزل عند علماء الشعراء، وحكماء البلغاء، مشبها بالعيون التى لا يحول نظرها، ولا يحور (١) حورها، وأفضل تشبيه للورد : الخد، والخد ليس حاسة ، فكيف تبلغه رياسة .

ثم طلبا من الأقحوان والخيرى الأصفر: أن يبلغا النوادر التى بايعت الورد بما تورطت فيه من الخطأ، وأن يؤنبا البهار تأنيبا شديدا - فى سر منها - على تواضعه المزرى بنفسه، وسعايته فى إبطال حقه، وأنا يخبراه أن جلّ النواوير، وعمدة الأزاهير، تعقد اللواء له عليها جميعا .

فلما وصل الكتاب إلى من بايعوا الورد، ندموا أشد الندم واعتذروا : بأنهم لم ينمعو النظر، وكان الحزم فى التأنى، وصدق من قال : وقد يكون مع المستعجل الزلل .

ثم أعلنوا التوبة النصوح، وأقروا بالذنب، والاعتراف بمحو الاقتراف . كما صرح البهار : بأنه ما دخل معهم فيما أحدثوه، ولا تابعهم على ما صنعوه إلا حياء من تعريفهم بما لا يجعله الجاهلون ، وليس من ترك حقه ملوما، وإنما الملوم من تسوّر على غير حقه !!

فسرّ الخيرى والأقحوان بما بدا منهم من الإقرار بذنوبهم ، وخرجوا جميعا إلى البهار معتذرين إليه، سائلين العفو عما جنوه، فعفا وصفح .

وبعد أخذ ورد اتفقوا على كتاب مبايعة جديدة للبهار، ضمنوها نقضهم لبيعة الورد الأولى، وقد استهلوها بهذه المقدمة :

(١) يحور : ينقص

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب ميكرى الأنوار، وسابقى الأزهار، إلى من غاب عنها بشخصه، ولم يحضرها بنفسه، أما بعد، فإننا نحمد إليكم الله الذى لا إله الا هو مستنقذنا من الفعلة القبيحة، والدنية الصريحة، التى نفذ بها كتابنا إليكم، وورد بإكمالها خطابنا عليكم، وتلك غلطة ظهرت لكم، وسقطة لم تغب عنكم، ولعمر الحق الذى إليه نرجع، وبه فى أمرنا نقطع، لقد ظهر لنا فساد ما حضضنا عليه، وقُبِح ما نُدبنا إليه، بعد إنفاذه وإكمالها، والتدبر لجميع أحواله، ولم نسقط الا بتعجيل التدبير، ولاخير فى رأى الفطير (١) وإذ قد اجتمع رأى من سراتكم ومنا، وصدر الاتفاق عن كبرائكم وعنا، فهى النعمة التى بها تنتظم أمورنا ويراعى أميرنا، وقد بايعنا البهار الباهر جماله، الظاهر كماله، على ما رضيتم به ورغبتم فيه، وقد وضعنا شهادتنا على صدق من نياتنا.

وكان كاتب الصحيفة البنفسج، فقيل له: ابدأ بشهادتك فكتب:
شهادة البنفسج :

والله ما أضعف أملى، وضاعف عللى، وأوهن سوقى (٢) منى، وقللنى فى كل سوق إلا الدخول فى تلك الوجود، والبعد عن الخلق الكريم، والصراط المستقيم، فى تأخير هذا الملك العظيم، الذى بتقديمه الآن، أرجو أن دائى قد لان.

أما البنفسج فهو يشهد أنه متذمّم مما حنى مُتنصّل

(١) الفطير : الذى لم يختبر، وهو مدموم.

(٢) سوق : جمع ساق، وساق البنفسج ضعيفة.

متبرئ من بيعة الورد التى .: لم يبر منها داؤه المتأصل
متبئن فضل البهار، وعالم .: أن البهار هو المليك الأفضل

شهادة النرجس الأصفر:

تباً لتلك الفعلة الدميمة، والقضية الذميمة، التى جلبتنى جلاباب
السقم، وسربلتنى سربال الهرم، ولولا بدارى^(١) إلى نسخها، وتحلى فى
فسخها، لذهب نفسى الأرج، الذى به أبتهج :

أشهد النرجس إشهاد مُحق .: أن بدر الورد فى الملك مُحق
ورأى أن البهار المجتلى .: فى سماء الحسن بالملك أحق
فمتى كذب قول أبدا .: قيل فى قولته : هذا صدق

شهادة الخيرى « النمام » :

والله ما أرق بصرى، وأرق بشرى^(٢)، وأفاض نهارة ماء بشرى^(٣)
وأغمد فيه سيف نشرى، إلا معصية الحق فى تلك القضية، وطاعة الهوى
فى تلك الخطية، فالحمد لله الذى أحال الحالة الموبقة لى لا محالة :

أشهد الخيرى : أن الخير فى .: نقض ما أخطأ فيه أولاً
موقنا : أن البهار المرتضى .: بهر الأملاك حالا وحلى
فهو للموقظ أنوار الرُّيا .: من سنات سنُّها فيها البلى

شهادة الأقحوان :

إن رمت أداء شكر الله على فضله المتناهى، فى استنقاذه لى من تلك

(٢) البشر محرّكة : ظاهر الجلد .

(١) البدار : المبادرة .

(٣) البشر بكسر فسكون : الطلاقة؛ يشير إلى أنه لا تسطع رائحته إلا ليلاً، وذلك من خصائص النمام :

القبيحة ، والدنية الصريحة، لم أؤد الفرض، ولا استطعت القرض (١)،
فالإقرار بالعجز نهاية، والاعتراف بالقصور غاية، فاستثنائي هناك ،
وسكوتي إذ ذاك أنبتا ورقى ورقا (٢)، وجعلا فلقى (٣) فلقا (٤) :

أشهد الأحوان أن جنّاه (٥) .: كافر بالذى سواه حناه
قائل قول من تبرأ قديما .: من هوى من قضى عليه هواه
إن نور الربا عبيد وكل .: للبهار البهى يقضى ولاه (٦)
شهادة الخيري الأصفر :

الحمد لله الذى عصمنى من تلك الدنية، ولم يُخيّبنى عن هذه النية،
وبها بقيت غضارتي، وتأكدت نضارتي، ووهب لى الذهب الإبريز (٧)
ملبّسا، والمسك النفيس نفّسا.

أصفر الخيري يشهد .: أن عَقْدَ السورد قد رُد
ويرى أن البهار الـ .: منتقى أعلى وأمحد
ملك يقظان يأتى .: وصنوف النور هُجْد
ثم ختم الحميري رسالته موجهها الكلام إلى ذى الوزارتين القاضى؛
فقال : هذا يا مولاي ما استطعت عليه، وانتهت مقدرتي إليه، فإن وافقك
فبفضلك المشهور، أو كانت الأخرى فبالباع المنزور (٨)، ولك المن على
الوجهين ، والطول (٩) فى الحالتين، أبقاك الله لأحوالنا تصلحها، ولآمالنا
تُنجحها، وصنع لك، وبلغك أملك!!

(١) القرض : نظم الشعر . (٢) الورق : المضة

(٣) الفلق كعب : جمع فلقة، وهى الشقة من الشيء بكسر الفاء .

(٤) العلق كسبب : الصبح أو ما انقلب من عموده أو الفجر .

(٥) حاه : الغص الطرى مه . (٦) ولاء : يعنى ولاءه .

(٧) الأبريز : الخالص . (٨) المدور : القليل . (٩) الطول : الفضل .

المناظرة الخامسة
المقامة الوردية في الرياحين والزهور

المقامة الوردية فى الرياحين والزهور

للسيوطى

للإمام جلال الدين السيوطى عدة مقامات، منها هذه المقامة المسماة المقامة الوردية فى الرياحين والزهور، وهى عبارة عن مناظرة بين الأزهار على اختلاف أشكالها وألوانها وروائعها فى موضوع « من هو أحق بالملك والسلطنة فيما بينها؟ » .

فتناظرت جماعة من زعماء الأزهار وهم على الترتيب :

- | | | |
|-----------------|----------------|-----------------|
| ١ - الورد . | ٢ - والنرجس . | ٣ - والياسمين . |
| ٤ - والبان . | ٥ - والنسرین . | ٦ - والبنفسج . |
| ٧ - والتيلوفر . | ٨ - والآس . | ٩ - والريحان . |

فعرف كل منها بنفسه واشاد بمزاياه وأفضاله وخواصه، مدحضا وهادما ما بناه الآخر عن المفاخر، ثم يردف بالثناء على نفسه وذم منافسيه، وقد استعان الحصوم فى المناظرة بسحر البيان، والطب والتاريخ والشعر والدين من قرآن وحديث، وأحسن كل الإحسان فى دحض حجة خصمه والكشف عن مثالبه ومدح نفسه، وهذه المقامة تعتبر فى موضوعها من المقامات الطبية .

ولما رأى كل منافس أنه أحق بالملك على سائر الأزهار والرياحين
اختاروا حكماً عادلاً ليفصل بينهم ففاجئهم بالحكم لصالح نوع من
الزهور ليس من بينهم وهو الفاغية (١) أى التمر حنا .

هكذا شاء حب السيوطى للفاغية أن يجلسها على عرش الأزهار
ويحكم لها بالغلبة والسلطنة، وكان دافعه فى هذا موقفه كواحد من أبرز
حفاظ الحديث الشريف والسنة النبوية بما ذكره من أحاديث نبوية فى
فضل الفاغية .

الأعراض ومن جيد التشبيه قول الخوارزمى فيه :

أما ترى الزعفران الغض تحسبه .: جمرا بدا فى رماد الفحم مضطربا
كأنه بين أوراق تحف به .: طرائق الخال فى خدين قد لطما
دما عيانا ومسكا نشر رائحة .: فى طيبه وكذاك المسك كان دما

وأما أنت أيها « الزباد » * وأن أشتهرت فى كل ناد * بين كل حاضر
وباد فلست تعد مع هؤلاء من الأقران * لأنه لم يرد ذكرك فى آية من
القرآن * ولا فى حديث عن سيد ولد عدنان * لا فى الصحاح ولا فى
الضعاف ولا فى الحسان * ولا فى أثر عن حد من الصحابة ولا التابعين
لهم باحسان * فلا تتعد طورك * ولا تبعد غورك * ومتى أدعيت أنك
رابعهم قيل لك اخسا * ومتى جاريتم فى ميدان السبق فكبوا لك
وتعسا * وأخرى انبئك بها من الفقهاء من قرر نجاستك * وذلك مما
يسقط فى سوق الطيب نفاستك * وقصارى أمرك أنك عرق هربرى *

(١) الفاغية : والفغو : نور الحياء ، أو يعرض غصن الحياء مقلوبا فيثمر رهراً أطيب من الحياء ، فذلك :
الفاغية ، وأفعى خرحت فاعته . وتسمى الفاغية : التمر حنا .

أولبن سنور بحرى * فلا نسب لك ولا حسب ولا سلف * ولا خلف *
وأنت أقل شرفا * واذل سلفا * ومتى انتتف معك من شعر اصلك ما
يجاوز حد العفو فعليك العفا * غير أنا نجبر كسرك * ونغنى فقرك * قد
رزقك الله أنواعا من المنفعة * وجعل فيك اسرارا مودعه * إذا شمك
المزكوم نفعته من الزكام * وإذا ضمخ بك الدماميل خففت عنها الآلام *
وإذا سقى منك درهم مع مثله زعفران فى مرقة دجاجة سمينه * سهلت
ولادة المرأة وحفظت الدرة الثمينه * وحرارتك فى الدرجة الثالثة *
وفيك رطوبة معتدلة لمن أراد المثاقبة والمثافنة والمنافثة * ثم رأيت فى خبر
مرسل * عن أم حبيبه زوج خير مرسل * أن نسوة النجاشى اهدين لها
من الزباد الكثير * وأنها قدمت به على النبى البشير النذير * فاذن حصل
للزباد بذلك الشرف * وإرتقى إلى طبقة عالية الغرف * وصار فى أنواع
الطيب رائعا * وللأمراء الثلاثة رابعا * واستغفر الله مما وقع من تنقيصه *
واستغفیه من الجهل بتمييزه وتخصيصه * جعلنا الله ممن اناب إلى الحق
ورجع * واصغى إلى الصدق وخشع * واعاذنا برحمته من كل
شرك * وجنبنا كل زور وكذب وافك * وجمعنا مع عباده الابرار
والمقربين فى سلك * وجعلنا من الذين يسقون من رحيق مختوم ختامه
مسك *

المقامة الوردية فى الرياحين والزهور

حدثنا الريان * عن أبى الرياحان * عن أبى الورد ابان * عن بلبل
الأغصان * عن ناظر الإنسان * عن كوكب البستان * عن وابل الهتان
* قال مررت يوما على حديقه * خضرة نضرة أنيقه * طولها وديقه *

وأغصانها وريقه * وكوكبها ابدى بريقه * ذات ألوان وافنان * وأكمام
وأكتان * وإذا بها ازرار الأزهار مجتمعه * وأنوار الأنوار ملتتمعه * وعلى
منابر الأغصان أكابر الأزهار * والصبا تضرب رؤسها من الأوراق الخضراء
بالمزاهر * فقلت لبعض من عبر * ألا تحدثونى ما الخبير * فقال أن عساكر
الرياحين قد حضرت * وأزهار البساتين قد نظرت لما به نظرت * واتفقت
على عقد مجلس حافل * لاختيار من هو بالملك أحق وكافل * وها أكابر
الأزهار قد صعدت المنابر * ليبدى كل حجته للناظر * وينظر بين أهل
المناظر * فى أنه أحق أن يلحظ بالتواظر * من بين سائر الرياحين النواضر *
وأولى بان يتأمر على البوادي منها والحوضر * فجلست لأحضر فصل
الخطاب * واستمع إلى ما يأتى به كل من فنون الحديث المستطاب *
فهجم الورد بشوكته * ونجم من بين الرياحين معجبا بأشراق صورته
وافراق صولته * وقال بسم الله المعين * وبه نستعين * أنا الورد ملك
الرياحين * والوارد منعشا للأرواح ومتاعا لها إلى حين * ونديم الخلفاء
والسلاطين * والمرفوع أبدا على الأسرة لا اجلس على ترب ولاطين *
والظاهر لوني الأحمر على أزهار البساتين * والأشرف من كل ريحان
فخرا * بانى خلقت من عرق المصطفى وجبريل والبراق ليلة الاسراء *
والمظفر بقوة الشوكة والصولة * والمنصور على من ناوأنى لأنى صاحب
الدولة * والعزيز عند الناس * والودود بين الجلاس للآيناس * والعاذل فى
المزاج * والصالح فى العلاج * اسكن حرارة الصفراء * وأقوى الباطن من
الاعضاء * وأطيب رائحة البدن * ومن شم مائى وبه غشى أو صداع حار
سكن * وأقوى المعد * وافتح من الكبد السدد * وانفع الاحشاء * وأقوى
الاعضاء * أنا ومائى ودهنى كيف شاء * وابرد أنواع اللهب الكائنة فى
الرأس * وربما استخرجها منه بالعطاس * واثبت اللحم فى القروح

العميقه* واقطع الثآليل (١) كلها إذا استعملت ازرارى سحيقه* وانفع
من القلاع والقروح* وأنا بعطريتى ملائم لجوهر الروح* وشمى نافع من
البخار* مسكن للصداع الحار* وبزرى نافع للثة الفم* وأقماعى تقطع
الاسهال ونفث الدم* ومائى يسكن عن المعدة حرا* وينفع من التهاب
المرءة الصفراء وشرابى يطلق الطبيعة القوية* وينفع من الحميات الصفراوية*
وإذا شرب مائى بالسكر الطبرزد قطع العطش من المادة* ونفع أصحاب
الحمى الحادة* وإذا ضمدت العين بورقى الطرى نفع من انصباب المواد*
ومطبوخى طريا ويابساً ينفع من الرمد بالضماد* ومطبوخ يابس صالح
لغلظ الجفون* ومسحوقه إذا ذر فى فراش المجدور والمحسوب نفع من
العفون* ومن تجرع من مائى يسيرا* نفعه من الغشى والحققان كثيراً*
ودهنى شديد النفع للخراجات* وفيه مآرب كثيرة لذوى الحاجات* وأنا
مع ذلك جلد صبار* أجرى مع الأقدار* إذا صُلِّيت بالنار* وكفى رفعة
على الأقران* أن لفظى مذكور فى القرآن* فى سورة الرحمن* فى قوله
تعالى فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان* وقد حمدانى أمير
المؤمنين المتوكل كل حمى الشقائق النعمان* وهذا تقليد من الخلافة
بالملك على سائر الريحان، ولى من بينهم ابن يخلقنى فى الحكم إذا غبت
طول الزمان* فلهذا رفعت من أغصانى الاشائر* ودقت من داراتى
البشائر* واعملت لى المشاعر* وقال فى الشاعر*

للورد عندى محل	لأنه لا يُمل
كل الرياحين جند	وهو الأمير الأجل
أن جاء عزوا وتاهوا	حتى إذا غاب ذلوا

(١) الثآليل (تآليل) جسده : ظهرت عليه الثآليل. (التؤلؤل) : حبه مستديرة مشققة فى حجم الحمصة
أو دونها، تظهر على الجلد، (ج) ثآليل.

وقال الآخر

ملك الورد قبل في جوش من الازهار في حلل بهيه
فوافته الازهار طائعات لان الورد شوكته قويه

فقام النرجس على ساق * ورمى الورد منه بالاحداق * وقال لقد
تجاوزت الحد يا ورد * وزعمت انك جمع في فرد * أن اعتقدت ان لك
بحمرتك فخره * فإنها منك فجره * قال النبي ﷺ ان الشيطان يحب
الحمرة فاياكم والحمرة * وكل ثوب ذى شهره * وان قلت انك النافع في
العلاج * فكم لك في منهاج الطب من هاج * ألت الضار للمزكوم *
المعطس للمحرور الدماغ عند المشموم * المضعف للباه * النائم بلا انتباه *
أتغتر ببردك القشيب * وأنت الجالب للمشيب * فاحفظ بالصمت
حرمتك * والا اكسر بقائم سيفي شوكتك * ويكفيك * قول ابن الرومي
فيك *

يا ماح الورد لا ينفك من غلظه .: ألت تبصره في كف ملتقطه
كأنه سرم بغل حين سكرجه .: عند البزار وباقي الروث في وسطه

ولكن أنا القائم لله في الدياجي على ساقى * الساهر طول الليل في
عبادة ربي فلا تطرف احداق * وأنا مع ذلك المعد للحروب * المدعو عند
تزامم الكروب * ألا ترى وسطى لا يزال مشددا * وسيفي لا يبرح
مجردا * وأنا فريد الزمان * في المحاسن والاحسان * ولهذا قال في كسرى
أنو شروان * النرجس ياقوت اصفر * بين درابيض على زمرد أخضر * وأنا
المشبه به عيون الملاح * والمعروف في مهمات الأدواء بالصلاح * انفع
غاية النفع * من داء الثعلب والصرع * وقد روى في حديث راويه غير

مقل ولا مفلس * شموا النرجس فإن في القلب حبة من الجنون والجذام
والبرص لا يقطعها الاشم النرجس * وفي أصلى قوة تلحم الجراحات
العظيمه * وتنفع ذكر العنين وتعيد تقويمه * وشمى ينفع من وجع الرأس
والزكام البارد * وفي تحليل قوى لمن هو له قاصد * ودهنى نافع لاوجاع
العصب والارحام * وأوجاع المثانة والأذن والصلب من الأورام * ولولا
اشتهاى بالنفع من الجوى * ما أكثر النحاة التمثيل بقولهم نرجس الدوا *
ومن الدليل على صلاحى * أن أبا نواس غفر له بابيات قالها فى
امتداحى *

تأمل فى رياض الأرض وانظر	إلى آثار ما صنع المليك
عيون من لجين ناظرات	باحداق كما الذهب السبيك
على قضب الزبرجد شاهدات	بان الله ليس له شريك

ولقد أحسن ابن الرومى حيث قال * ميبيا فضلى عليك بكل حال *

ايها المحتج للورد بزور ومحال
ذهب الترحس بالفضل فانصف فى المقال
لا تقاس الاعين النحل بأسرام البغال

فقام « الياسمين » * وقال امنت برب العالمين * لقد تجبست يا جيس *
واكثرك رفس نجس * وأنت قليل الحرمة * واسمك مشمول بالعجمه *
وكيف تطلب الملك وأنت بعد قائم مشدود الوسط فى الخدمه * رأسك
لا يزال منكوس * وأنت المهيج للقيء المصدع من المحرورين للرؤس *
تسقط الجنين * ولا ترثى للعنين * اصفر من غير عله * مكسو احقر حله *
ويكفيك * قول بعض واصفيك *

ارى النرجس الغض الزكى مشمرا على ساقه فى خدمة الورد قائم
وقد ذل حتى ان من فوق رأسه عمائم فيها لليهود علائم

ولكن انازين الرياض * والموسوم فى الوجه بالبياض * والبياض شطر
الحسن كما ورد * وأنا الطف ورد جاء ورد * وجاء ذكرى فى حديث
فاح بنشره * ان قارئ القرآن يؤتى بياسمين الجنة فى قبره * فحديثى
أصدق من حديثك سندا * ونشرى اعبق من نشرك صباحا وندا * فانا
احق بالملك منك منصورا ومؤيدا * وأنا النافع من أمراض العصب
البارده * والملطف للرطوبات الجامده * والصالح للمشايخ القاعده * انفع
من اللقوة والشقيقة والزكام * ومن وجع الرأس البلغمى والسوداوى واقطع
نزف الارحام * ودهنى نافع من الفالج ووجع المفاصل * ويحلل الاعياء
ويجلب العرق الفاضل * يقول لى لسان الحال لست الهزيل مقاما
ياسمين * ويشهد لى لسان الالغ بانى الدر الغالى إذا قال يا ثمين

أنا الياسمين الذى لطفت فنلت المنى
فريحى لمن قد نأى وعينى إلى من دنا
وقد شرفت حضرتى بصبرى على من جنى

فقام «البان» * وابدى غاية الغضب وابان * وقال لقد تعديت يا
ياسمين طورك * وابتعدت فى المدى غورك * وكونك اضعف الكون *
وكثرة شمك تصفر اللون * وإذا سحق منك اليبس ورض * وذُرَّ على
الشعر الأسود أبيض * وإذا قسم اسمك قسمين * صار ما بين ياس ومين *
وأن ذكرت نفحك * فانت كما قيل لا تساوى جمعك * ولقد صدق
القائل * من الأوائل *

لا مرحبا بالياسمين وان غدا فى الروض زينا
صحفته فوجدته متقابلا ياسا ومينا

ولكن أنا ذو الاسمين* والظافر من الأصل والفرع بالقسمين*
والقريب من الباز* والمضروب نقدى المثل فى الاهتزاز* ازهارى عاليه*
وأدهانى غاليه* وقد ألبست خله السنجاب* واتفق على فضلى
الأنجاب* انفع بالشم من مزاجه حار* وارطب دماغه واسكن صداعه
الكائن عن البخار* ودهنى نافع لموضع كل وجع بارد* وتحت ذلك صور
كثيرة الموارد* من الرأس والاذن والضرس وفقر المفلوج والمجدور* والمعدة
والكبد والطحال وكل عصب بالصلابة مقصور* ويكفى فى وردى*
قول ابن الوردى*

تجادلنا أماء الزهر اذكى ام الخلاف (١) أم ورد القطاف
وعقبى ذلك الجدل اصطلاحنا وقد وقع الوفاق على الخلاف

فقام «النسرين»* بين القائمين* منتصرا لاختيه الياسمين* وقال
أتعدى يابان على شقيقى* وأين الفرا من المذهب والديقى* وكيف يفاخر
البلور* من هو مشبه بذنوب السنور* ألم يعرفك الحال* قول من قال

لله بستان حللنا دوحه فى جنة قد فتحت أبوابها
والبان تحسبه سنانيرا رأت بعض الكلاب ففشت اذنانها

ولكن أنا زين البستان* وفى من الفضة والذهب لوان* انفع من
أورام الحلق واللوزتين ووحع الاسنان* ومن برد العصب والدوى والطنين

(١) الخلاف اسم آخر للبان.

فى الآذان * وافتح ما يسد به المنخران * واقتل الديدان * واسكن القىء
والفواق * واقوى القلب والدماغ على الاطلاق * واحلل الرياح من
الصدر والرأس * واخرجها منه بالعطاس * وينتفع بى أصحاب المرة
السوداء غاية الانتفاع * والبرى منى إذا لطخ به الجبهة سكن الصداع *
وإذا تدلك فى الحمام بما منى انسحق * طيب رائحة البشرة والعرق * وإذا
شرب من مجففى نصف مثقال * منع اسراع الشيب على التوال * ودهنى
يحلل أوجاع الارحام الكائنة عن داء * وينفع من الشوصة العارضة من
سوء المزاج والبلغم والمرة السوداء * ويكفيك من المعانى * قول من
عنانى *

ما احسن النسريس عندى وما املحه مذ كان فى عينى
وهو إذا ما أنا صحفته وحدته بشرى ويسرين

فقام « البنفسج » وقد التهب * ولاحت عليه زرقة الغضب * وقال أيها
النسرين * لست عندنا من المعدودين * ولا فى العلاج من المحمودين *
لأنك حار ياس انما توافق المرودين * ولا تصلح الا للمشايع المبلغمين *
وانت كثير الاذاعة فلست على حفظ الاسرار بامين * ويعجبنى ما قاله
فيك بعض المتقدمين *

ولم انس قول الورد لا تركنوا إلى * معاهدة النسرين فهو يمين

ألا تنظروا منه بنانا مخضبا * وليس لمخضوب البنان يمين

ولكن أنا اللطيف الذات * البديع الصفات * المشبه بزرق اليواقيت *
واعناق الفواخيت * ومزاجى رطب بارد * ومنافعى كثيرة الموارد * أولد
دما فى غاية الاعتدال * وانفع الحار من الرمد والسعال * واسكن الصداع

الصفراوى والدموى لمن شم أو ضمد * والين الصدر وانقع من التهاب
 المعد * وانقع من ورم العين وكل ورم حار ومن نتو المقعدة إذا تضمد بى
 على التكرار * وشرابى لذات الجنب والرئة والكلى * وللسعال والشوصة
 ويدر البول محللا * ويابسى يستعمل للصفراء فيسهل غاية الاسهال *
 والمربى منى بالسكر يلين الحلق والبطن وينفع السعال * وورقى طلاء جيد
 للجرب الصفراوى والدموى * وزهرى ينفع من التزلات الصدرية والزكام
 القوى * وإذا شرب بالماء نفع من أم الصبيان وهو الحناق * أو سقه من به
 اطلاق صفراوى لذاع احذر بقية الخلط وقطع الاطلاق * وكفانى شرفا بين
 الاخوان * ماروى عن سيد ولد عدنان * ان دهنى سيد الادهان * بارد
 فى الصيف حار فى الشتاء فهو صالح فى كل الازمان * وذلك لانه
 يسكن القلق * وينوم أصحاب الارق * وينفع مع المصطكى من الورم
 الصفراوى بين اصابع الاسنان * ويجذب الصداغ من الرأس إذا دهن به
 الرجلان * ويلين صلابة المفاصل والعصب * وهو طلاء حيد للجرب *
 ويعدل الحرارة التى لم تتعدل * ويسهل حركة المفاصل فتسهل * وينفع
 سعوطا من الصداغ الحار * ويحفظ طلاء صحة الاظفار * وينفع من
 الحرارة والحرقة التى تكون فى الجسد * ويصلح من الشعر المنتشر دهنا ما
 فسد * وإذا قطر فى الاحليل سكن حرقة وحرقة المثانة * وينفع من ييس
 الحياشيم فجعل الخالق البارى سبحانه * وإذا تحسى منه فى الحمام وزن
 درهمين * نفع من ضيق النفس على الريق بلا مين * وإذا دخل فيه شمع
 مقصور أبيض ودهن به صدور الاطفال * نفعهم منفعة قوية من السعال *
 وروى ابن أبى حاتم وغيره عن الإمام الشافعى صاحب المذهب المذهب *
 إنه قال لم أر للوباء انقع من البنفسج يدهن به ويشرب * ومنافعى لا
 تحصى * وما أودعه خالقى فى لا يستقصى * وبى تعطر الجيوب * ويشبه
 عذار المحبوب * وأنا مع ذلك حسن الفال * بديع الجمال * من رآنى آذن
 بالانشراح * وتفاءل بالانفساح * اما سمعت قول من باح وصاح *

يا مهديا لي بنفسجا ارحا يرتاح صدرى له وينشرح
بشرنى عاجلا مصحفه بان ضيق الامور ينفسح

فقام « النيلوفر » على ساق * وحشد الجيوش وساق * وانشد بعد
اطراق *

بنفسج الروض تاه عجا وقال طيبى للحو ضمخ
فاقبل الزهر فى احتمال والبان من غيظه تنفخ

ثم قال أيها البنفسج باى شىء تدعى الاماره * وتطاول نفسك
والنفس اماره * وأكثر ما عندك انك تشبه بالعدار وبالنار فى الكريت *
وحاصل هذين يرجع إلى اشنع صيت * وما من نفع ذكرته عنك الا وأنا
أفعل مثله وأكثر * وأنا احرى بسلامة العاقبة منك واجدر * من شرب
اليابس منك ولده قبضا على القلب * وربما فى معدته وامعائه وحدث له
الكرب * وانحللك بطئ الماده * لا سيما لمن به حمى حاده * ومرباك
يسقط الشهوه * ويرخى المعدة عن القوة * وقد كفانا الورد مؤنة الرد
عليك * وحذرنا من القرب منك والاصغاء إليك * فقال

أعلى يفتخر البنفسج حاهلا وإلى يعزى كل فضل يبهر
وانا المحب للقلوب زمانه وبمقدمى أهل المسرة تفخر

وقال الحاكي * عن الورد الباكي

عاينت ورد الروض يلطم خده ويقول وهو على البنفسج محنق
لا تقربوه وان تضوع نشره ما بينكم فهو العدو الأزرق

ولكن انا اللطيف الغواص * الكثير الخواص * اسكن الصداع الحار *
واذهب بالارق والاسهار * وشرابى شديد الاطفاء * بعيد عن الاستحالة
إلى الصفراء * صالح لاصحاب الحميات الحادة * نافع من السعال
والشوصة ويبس المادة * ويشرب للاحلام لمن اراد اسكانه * وبزرى
واصلى نافعان لوجع المثانة * وأنا أشد من البنفسج ترطيبا * وابتعد عن
ضرره بالمعدة وادنى إليها طيبا * وما أحسن ما قال فى * بعض واصفى *

يرتاح للنيلوفر القلب الذى	لا يستفيق من الغرام وجهده
والورد اصبح فى الروائح عده	والرحس المسكى خادم عبده
ياحسنه فى بركة قد اصحت	محشوة مسكا تشاب بنده

ومنى صنف يقال له «البشنيين» * يشابهنى فى التكوين لا فى
التلوين * يحدث عند اطاق النيل * وله فى منافع الطب تنويل * دهنه
محمود فى البرسام * إذا تسعط به ذروا الاسقام * واصله «البيارون» يزيد
فى الباه الكثير * ويسخن المعدة ويقويها ويقطع الزحير * وقد انشد فيه *
من اراد أن يوصله حقه فى التشبيه *

وبركة بغدير الماء قد طمحت	بها عيون من البتسين قد فتحت
كأنها وهى تزهر فى حوانبها	مثل السماء وفيها انجم سحت

فقام «الأس» وقد استعد * وقال لقد تجاوزت يانيلوفر الحد * ألسنت
المضعف للباه * الجالب للإنسان صفة السيخوخة فى صباه * ترخى الذكر
وتجمد المنى * وتنغص على المتزوحين عيشهم الهنى * ولقد عرفك * من
قال حين وصفك *

ونيلوفر ابدى لنا باطناً له مع الطاهر المخضر حمرة عدم
فشبهته لما قصدت هجاءه بكاسات حجام بها لوثة الدم

ولكن أنا أحق بالملك بالحجة المبينة* فقد اخرج ابن أبى حاتم وابن
السنى عن ابن عباس أول شىء غرس نوح الآس حين خرج من السفينه*
وهذه حجة على الاستحقاق قويه* لأن للأولية نوعاً من الأولويه* ثم
يعتضد هذا القياس* ما اخرج ابن السنى وأبو نعيم عن ابن عباس* قال
اهبط آدم من الجنة بسيد ريحان الدنيا الآس* وهذا نص فى المراد قاطع
لالتباس* وأنا المقوى للأبدان* الحابس للاسهال والعرق وكل سيلان*
المنشف للرطوبات المانع من الصنان* المسكن للأورام والحمرة والشرى
والصداع والسعال والخفقان* إذا دق ورقى الغض وضرب بالخل ووضع
على الرأس قطع الرعاف* وحى يقطع العطش والقيء وينفع إذا تدخت
به المرأة من الانزاف* ورمادى يدخل فى أدوية الظفره* ودهنى لحرق
النار وشقاق المعدة والبترة* وليس فى الاشربة ما يعقل وينفع السعال
والرئة غير شرابى* وإذا اتخذ من قضبانى حلقة وادخل فيها الحنصر
سكنت ورم الارابى* وأنا الباقي على طول الزمان* وقد قال فى بعض
الاعيان*

الآس سيد انوار الرياحين فى كل وقت وحين فى البساتين
يبقى على الدهر لا تبلى نضارته من المصيف ولا من برد كانون

وقال آخر

للآس فضل بقاءه ووفائه ودوام منطره على الاوقات
قامت على اغصانه ورقاته كنصول نبل حئن مؤتلفات

فقام «الريحان» وقال يا آس* لا جرحنك جرحا ماله من آس* ألم يرد
فيك من طرق الائمة الاعلام* عن النبي عليه أفضل الصلاة والسلام* أنه
نهى عن التخلل بك والاستيائك لانك تسقى وتحرك عروق الجذام*

إذا قالت حذام فصدقوها فان القول ما قالت حذام

وأنا الوارد فيّ عليكم بالمرزنجوش فشموه فانه جيد للخشام* والمؤذن
لاصحاب الأرق بالنيام* والنافع من المالمخوليا واللقوة وسيلان اللعاب
وبرد الاحشاء* ومن عسر البول والمغص وابتداء الاستسقاء* ومن
الأوجاع العارضة من البرد والرطوبة واجفف رطوبة المعدة والامعاء*
واحلل النفخ وافتح السدد* وادر الطمث وانفع من لسعة العقرب لمن
بالخل ضمده* ودهنى لما يعرض فى الرحم من الاختناق والانضمام
والانقلاب* ويدخل فى ضمادات الفالج الذى يعرض فيه ميل الرقبة إلى
خلف وفى تشنج الاعصاب* ويسكن وجع الظهر والاربيه* ويخرج
المسيمة وناهيك بها تبرئه* ومع هذا فانا المنوه باسمى فى القرآن* فى
قوله تعالى فروح وريحان* وأن كان الجنس فى الآية هو المراد* فقد قصر
هذا الاسم على العرف قصر أفراد* وقد ورد فى الصحيحين عن سيد بنى
كنانه* مثل الفاجر الذى يقرأ القرآن كمثلى الريحانه* وحسبك منى فى
التشبيه* قول من قال على البديه*

أما ترى الريحان اهدى لنا حماحما منه فاحيانا
تحسبه فى طله والنندا زمردا يحمل مرجاها

فعطف عليه الآس وقال يا ريحان أتريد أن تسود* وأنت مشبه
بهامات العبيد السود* ألم يغنك عن مقصورى* قول الشهاب
المنصورى*

اهلا وسهلا برباحيننا كأنها همامات تكرورى

وقول الآخر

وريحان تميس به غصون يطيب بشمه لثم الكؤس
كسودان لبسن ثياب خز وقد قاموا مكاشيف الرؤس

« قال الراوى » فلما ابدى كل ما لديه * وقال ورد عليه * اتفق رأى
الناظرين * وأهل الحل والعقد من الحاضرين * على أن يجعلوا بينهم
حكما عادلا * يكون لقطع النزاع بينهم فاصلا * فقصدوا رجلا عالما
بالاصول والفروع * حافظا للآثار الموقوف منها والمرفوع * عارفا
بالانساب * مميزا بين الاسماء والألقاب * والاتباع والأصحاب * مديد
الباع * بسيط اليدين فى معرفة الخلاف والاجماع * خبيرا بمباحث
الجدل * بصيرا باستخراج مسالك العلل * متبحرا فى علوم اللغة
والاعراب * متضلعا بعلوم البلاغة والخطاب * محيطا بفنون البديع *
حافظا للشواهد الشعرية التى هى ابهى من زهر الربيع * سديد الرمية
شديد الاصابه * إذا فوق لفنى الشعر والكتابه * الشعر والنظم صوغ
بيانه * والنثر والانشاء طوع بنانه * والتاريخ الذى هو فضيلة غيره فضلة
ديوانه * فلما مثلوا بين يديه * ووقعت عينهم عليه * قالوا يافريد الأرض *
يا عالم البسيطة ما بين طولها والعرض * إننا اخصام بغى بعضنا على
بعض * فانظر فى حالنا ليكون ذلك ذخيرة لك يوم العرض * واحكم بيننا
بالحق * واقض لأينا بالملك احق * فقال أيها الازهار انى لست كالذى
تحاكم إليه العنب والرطب * ولا الذى تقاضى إليه المشمش والتوت ولا
التين والعنب * أنى لا أقبل الرشا * ولا اطوى على الغل الحشا * ولا اميل

مع صاحب رشوه* ولا استحل من مال المسلمين حسوه* إنما احكم بما
ثبت فى السنة* ولا اسلك الا طريقا موصلا إلى الجنة* فقصوا على
الخير* لأعرف من فحر منكم وبر* فلما قص عليه كل قوله* وابدى
هينه وهوله* قال ليس احد منكم مستحقا عندى للملك* ولا صالحا
للاتخراط فى هذا السلك* ولكن الملك الاكبر* والسيد الابر* وصاحب
المنبر* ذو النشر الاعطر* والقدر الاخطر* السيد الأيد* الصالح الجيد*
من شاع فضله وانتشر* وكان احب الرياحين إلى سيد الشر* واشتمل
على ما فى الرياحين من الحسنى وزياده* وحكم له النبى ﷺ بالسيادة*
وشهد له بها وناهيك منه بالشهادة* فقالوا أيها الامام* اوضح لنا هذا
الكلام* وارولنا ما ورد عن النبى عليه السلام* لنبلغ من اتباعه غاية
المرام* ونقطع الملام* فقال روى الطبرانى والبيهقى وابن السنى وأبو نعيم
وغيرهم بالاسايد العالیه* من حديث بريدة عن النبى ﷺ صلاة
متالية* انه قال سيد الرياحين فى الدنيا والآخرة الفاغية* وروى الطبرانى
من حديث عبدالله ابن عمرو مرفوعا* سيد ريحان أهل الجنة الفاغية
وكفى بذلك سطوعا* وروى البيهقى فى شعب الإيمان عن انس بن
مالك* قال كان احب الرياحين إلى رسول الله ﷺ الفاغية وناهيك
بذلك وهذا وفيه مافع للمعالج* من أوجاع العصب والتمدد والفالج*
ومن الصداغ وأوجاع الجنب والطحال* وإذا جعل فى ثياب الصوف منع
السوس من فسادها بكل حال* ودهنه يلين العصب* ويحلل الاعياء
والنصب* ويوافق الحناق وكسر العظام* والشوصة وأوجاع الارحام*
وما يعرض فى الأريية من حار الأورام* ويقوى الشعور ويزينها*
ويكسبها حمرة والخبيبة وليحسنها* وحنأه المسحوق* ينفع من الأورام
الحارة والبلغم ويقتضيه ﷺ العروق* وينفع من القروح والقلاع ومواضع

حرق النار* ومن شرب ماء نقعت فيه حسن ما تعفن منه من الاظفار*
 ونفعه من ابتداء الجذام إذا ادمته بالادهان* وإذا خضب بها رجل المجذور
 حصل لها منه الامان* وإذا ضمد بها الجبهة والصدغ منع انصباب المواد
 إلى العين* وإذا شرب بزرها بمثقال من العسل نفع الدماغ بلا رين* وقد
 روى الترمذى وأبو نعيم عن سلمى قالت ما كان برسول الله ﷺ قرحة
 ولا نكتة إلا امرنى أن اضع عليها الحناء* وروى البزار وابن السنى عن أبى
 هريرة قال كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي صدع فيغلف رأسه
 بالحناء* وروى البزار حديث اختضبوا بالحناء فانه يزيد فى شبابكم
 ونكاحكم يعنى الوقاع* وروى ابن السنى حديث عليكم بسيد الخضاب
 الحناء يطيب البشرة ويزيد فى الجماع* والاحاديث فى الحث على صبغ
 الشعر به كثيرة* وعلى خضاب ايدى النساء به شهيره* وأنا القائل فيه*
 لأوصله حقه وأوفيه*

كأنما دوحة الحناء إذ فتحت انوارها وبدت فى عين مرتقب
 عروس حسن تجلت فى غلائلها خضرا وقد حليت باللؤلؤ الرطب

قال فلما سمعت الرياحين هذه الاحاديث فى فضله اطارقوا رؤسهم
 خاشعين* وظلت اعناقهم لها خاضعين* ودخلوا تحت امره سامعين
 طائعين* ومدوا ايديهم له مبايعين بالامرة ومتابعين* وقالوا لقد كنا قبل
 فى غفلة من هذا انا كنا ظالمين* وتواصوا على اشاعة ما فضله الله به
 « وقالوا لانكتم شهادة الله انا إذا لمن الآثمين » (١)* « وقضى بينهم بالحق
 وقيل الحمد لله رب العالمين » (٢)*

(١) سورة المائدة الآية ١٠٦ . (٢) سورة الزمر الآية ٧٥ .

المناظرة السادسة
الورد يفوز في المفاخرة على الأزهار

الورد يفوز في المفاخرة على الأزهار (*)

لبعض أدباء اصفهان رسالة مطولة وصف فيها الرياض والرياحين،
وفضل الورد على جميعها، بعد أن أنطق كل منها بما شاء من ألوان
الفخار في مجلس حاشد، تمت فيه الغلبة لأسطعها حجة، وأوصحها
محجة، وأحدها لسانا، وأخلبها بياناً!!

وقد فتح باب المفاخرة بالمشور فقال:

ونثر منشوره ياقوتا ودرا وزمردا، وجمع ضدين من برد برد، وتوقد
جدا^(١)، فشمخ بالمناكب، على الكواكب، وتاه بالضوج^(٢) على
الأوج، وطاول بالآكام، علا الركام^(٣).

فهناك برز النرجس من بين الرياحين، وقال: الصمت لا يحمد في كل
حين، ومن لم يفصح بتعريف نفسه، وتفضيل يومه على أمسه، فهو
مغبون في جنسه. أنا حديق الحدائق، ونزهة الرامق، أخطر بين حسد
زبرجدي، وفرع كافوري وعسجدي، إلى ينسب حسن العيون، وعندى
يوجد ضعف الجفون.

(*) نقلنا هذه الماطرة بتعليقاتها عن المرحوم الشاعر على الجدى

(١) الجدا بالكسر والضم: جمع حذوة.

(٢) الضوح بفتح فسكون معطف الوادى. (٣) الركام السحاب المتراكم

تنافس في نفوس الكرام .: إذا ما أدبرت كئوس المدام
فأسبى الجليس إذا ما حضرت .: بلحظ الفتاة وقد الغلام

فأيقظ لمباهلته الأقحوان، فقال: الآن أن ظهوري وحن؛ ماهذه
المعجرفة والتباهي؟ لقد نطقت بعجائب النواهي، وتالله ما صدقت سن
بكرك (١) ولا امتاز عرفك من نكرك؛ فيم تتيه على أقرانك، وتتكبر على
سُجرائك (٢) وأخذانك؟ أنسيت تنكيس رأسك بين الندماء، وإمساك
رمقك بيلة من الماء؟ وأنتك لا تبيت إلا موثقاً محبوساً، ولا تُشم إلا صاغراً
منكوساً، ولا تستخدم الا قائماً، وياسوء يومك إذا أصبحت نائماً، ألا
عطفت على جيد الالتفات، وأشرت إلى بأحسن الصفات؛ فقلت: لله
درك من زهر كملت محاسنه، وصفا من غدير آسنه، وتبسم عن مؤشر (٣)
الثغور، وجمع فرعه بين لونى التبر والكافور، فتتوج بالتيجان المشرقه،
المرصعة بخلاصة النضار والرقه (٤)، ألم تعلم أنى فوز المغانى، ونزهة
الراني، ومباسم الغواني؟ لا يحكم لشاعر بالإحسان، أو ينسب إلى
حسن ثغور الحسان؟!

أنا زهر الربا ونور الرياض .: وعيون ترنو بغير اغتماض
لن ترانى إلا بشاطى غدير .: باسمنا أو مضاحكا لحياض

(١) يريد: لم تصدقنى الحديث؛ وأصله أن رجلا ساوم فى بكر - وهو ولد الناقة، أو الفتى منها - فسأله
عن سنه فأخبره بالحق، فقال المشتري: صدقنى سن بكره فذهبت مثلاً.

(٢) السجراء: الأخلاء الأوفياء، واحده: سجير كأمير.

(٣) المؤشر بالتشديد: المحدد المحرز خلقة وصنعة وبعد من الجمال.

(٤) الرقة بوزن زنة: الفضة.

فشق الشقيق عن زفير ووجيب، ولدغه بحُمة (١) لسان مجيب،
وقال: لقد تجاوزت بنفسك مدى الحد، وضربت في افتخارك بكهام (٢)،
فليل الحد؛ أليس ندى الكلّ يزينك، وإغبابه يشينك؟ ومتى نضب
غديرك، بدأ تغييرك: ما أراك بغير مضاهاة الثغور تفتخر، فهل هي على
الحقيقة إلا عظم نخر؟ بل أنا نزهة الناظر، وبغية الحاضر (٣)، جسدي من
قضبان الياقوت، وفرعي من المسك المفتوت:

أفوق إذا مسّت بين الريا .: ض زهوا على مائسات القدود
وأفضل لونا وحسنا إذا .: حضرتُ على حسن لون الحدود

فمالت إليه الخزامى، وكادت تميل به جذابا والتزاما؛ وقالت: أسمع
جَعْجَعَةً ولا أرى طحنا (٤)، وقمقعة ولا أنظر إلا شتًا (٥)، لقد ارتكبت
جللا، واستغزرت غَللا (٦)؛ ما أقبح عاقبة العجل، وأقرب الواثق (٧) من
الخبيل! حتام تُنبض (٨) ولا ترمي، وإلام تومض ولا تهمل؟ أبكُمّة
لونك تفتخر، وبِعَظَم كونك تشمخر، أَلست الخشن الجلدة، الدموى
البُرْدَة، البعيد عن محل التقريب والشمّ، الطريد عن رتبة التقبيل والفم،
لكن أن الملبس المشار إليه، والعطر المنصوص عليه، مُدحت بالطيب
واللون، وتُخَيِّرَت للتسربل والصون، وجمعتُ مني الحلل، وتوجت مني
الكلل.

(١) الحمة بالضم: السم أو الابهرة يضرب بها ويلدغ الزنبار والحية ونحو ذلك.

(٢) الكهام بالفتح: الكلل.

(٣) الحاصر: صد البادى.

(٤) الطحى بالكسر: الدقيق

(٥) الشن بالفتح: القرية البالية.

(٦) العلل محرّكة: الماء القليل ليست له جرية.

(٧) أى المعتد بنفسه.

(٨) الإناص: جذب وتر القوس لترن

فَضَّلْتُ عَلَى زَهْرِ الرَّبِيعِ بَرْتَبَةً بِهَا صَدَقَ الرَّاوُونُ لِلشَّعْرِ إِذْ قَالُوا
كَأَنَّ الْحَزَامِيَّ جُمِعَتْ لَكَ حُلَّةٌ عَلَيْكَ بِهَا فِي الطَّيِّبِ وَاللَّوْنِ سِرْبَالٌ

فأنهضت لمعارضتها البنفسج، وألجم جواد مناضلتها وأسرج، وقال : يا
ساكنة الشهباء (١)، لقد جئت بالدهاية الدهياء، أضبح (٢) الثعالب،
وإرسال الأرانب، ما يغنى عنك وصف الشعراء، وأنت منبوذة بالعراء،
بعُدت عن محاسن أخلاق البرية، وقربت من مراتع البهائم البرية،
وحرمت برد نسيم العراق، وضعفت ساقك عن حمل ساق (٣)؛ إنما أنا
نزهة الأمصار، ومسرّة الأبصار، وطيب النفوس، وربيب الكئوس، المحمول
على الرؤوس، المحبوب إلى الرئيس والمرءوس؛ ذو العرق الزكى، والعرف
المسكى :

رئيس الرياحين المضيف بلونه جمالا إلى ورد الخدود المضرج
إذا ماجنان الأرض بالتور زخرفت فتعريفها (٤) من طيب زهر البنفسج

فغضب لذلك جورى الورد، ووثب لو استطاع وثبة الورد (٥)؛ ثم
قال : أركزاً (٦) كأحاديث الضُّبُع، وزمجرة كزمجرة السَّبُع؟ ذهب بك
الشتاء وبرده، وشغل عنك الربيع وورده، أطعت هوى النفس الأمارّة،
ونطقت بحضرة الإمارة؛ وأنت لا تنقضى ساعتك حتى تبرد، ولا ينصرم
يومك حتى تذبل وتسود، ثم تستحيل أوراقك (٧)، وتشعث قمّتك (٨)،

(١) الشهباء : الأرض التي لا خصرة فيها لقلة المطر، والحرامى تنبت في الرمل.

(٢) الضبح، والضباح بالضم : صوت الثعالب.

(٣) أى لا تستطيع حمل إنسان يرقاها. (٤) تعريفها : تطيبها.

(٥) الورد : الأسد. (٦) الرّكر بكسر الراء : الصوت الحمى.

(٧) الأوراق بالفتح : الشارة والهيئة. (٨) تشعث : تعمر رأسك.

وتسنزُرُ^(١) قيمتك . أترك لولا قرص الحدود، هل كنت فى الألوان
بمعدود؟ . أما علمت أنى مدعوً بالأمير المقدم، والميمون المقدام؟ أنا الزائر
فى كل عام، القادم بمسرة الخاص والعام، لا تشرف الأيام إلا باسمى، ولا
تفتخر الأجسام إلا بمشابهة جسمى، فبى يُفتن النظر، وأنا السيد المنتظر.

وإذا انقضت مدتى، وقضيتُ عدتى، أقصدتنى حنية^(٢) الفرقة بسهام
الفرق، واستولى على والى الحرق^(٣)، فولد تلهبى رشحاً من العرق، قام
لهم مقامى، وساوى عندهم بين رحلتى ومقامى، يُعرض كل وقت
بذكركى، ويُعرف لديهم نكركى، ويجدد عندهم شكرى :

أخلف نفسى عندهم بعد رحلتى	فسيان قبرى إن تأملت والبعد
وقد فضّل الكندى بى عند قوله	فإبك ماء الورد إن ذهب الورد ^(٤)

وتمتاز هذه الرسالة مما قبلها من النشر الذى ورد فى ذلك : أن فيها
تقصيا واستيعابا لمحاسن كل زهر، ومعاييه .

ثم أكثر ما حاء فيها يعد مبتكراً طريفاً، فلم يعمد صاحبها إلى حل
الأبيات الماثورة، وأخذ الكلمات المرددة، وتأليف موضوع منها، فلا
يكون عمله إلا وضع حروف الربط كما فعل سابقوه .

وقد امتد بصاحبها نفس القول، وأسلس له الكلام، وطاعت له

(١) نرر : تقل . (٢) الحنية كفية : القوس .

(٣) والى الحرق، يريد به . من يستقطر ماء الورد .

(٤) الكندى : المتبى، يريد قوله فى المدح :

فإد يك سيار بين مكرم انقضى فإبك ماء الورد إن ذهب الورد

وقد عد من قلائد أبياته .

المعانى، فتمكن أن يصوغ من ذلك موضوعا طريفا أشبه شىء بالقصة أو المقامة.

والشعر الذى تخلل النثر جاء مناسبا لموضعه غير قلق ولا مضطرب، وهو إلى ذلك جيد الحوك، حسن المعنى.

ومع أنه التزم السجع فقد جاء سجعه محكما فى الجملة غير متهافت ولا متكلف إلا فى القليل، والسجع فى هذه المواضع لا بأس به، لأنها موضوعات تلائم الأساليب الشعرية التى يعد السجع غير غريب عنها.

المنظرة السابعة

تفضيل المرسين على سائر الرياحين

تفضيل المرسين (١) على سائر الرياحين !

وفى كشف الأسرار، عن حكم الطيور والأزهار لابن غانم المقدسى كلام نفيس صرفه بين النسيم، والورد، والمرسين، والنرجس، والبان، والبنفسج، والخزام والشقيق، والسحاب والهزار، والباز، والحمام، والخُطاف (٢) والبوم، والدرة (٣)، والديك، والبط، والنحل، والشمع، والغراب، والهدهد، والكلب، والحمل، والفرس، ودودة القز، والعنكبوت، والنملة، والعنقاء.

وقد أنطق كل واحد من هؤلاء بلسان الحال؛ لذلك سمي أقوالها :
إشارات في إشارة الورد إلخ .

وسنكتفى من ذلك بما يتصل بموضوعنا من إشارات الأزهار :

(١) المرسين بفتح الميم : الآس، وهو ضرب من الرياحان، قال صاحب التاج: هو ريحان القبور : والآس نوعان : يرى وبستاني، والبرى هو الذى يسمى بدمشق . قف وانظر سمي بذلك لحسنه، وورقه يشبه ورق البستاني إلا أنه أعرض منه، وطرفه محدد يشبه سنان الرمح .

واليونان تسمى الآس؛ مرسينى، وتسميه العامة؛ المرسين .

(٢) الخطاف بضم الحاء وتشديد الطاء؛ ما يسمى بطير الجنة .

(٣) الدرة : البيغاء .

إشارة الورد :

قال المقدسى : ثم سمعت الشحارير بأفنانها، والأزاهير فى تلون ألوانها؛ إذ قام الورد يخبر عن طيب وروده، ويعرّف بعرفه عن شهوده ، ويقول :

أنا الضيف الوارد بين الشتاء والصيف، أزور زيارة الطيف، فاغتنموا وقتى فالوقت سيف . . فأنا الزائر وأنت المزور، والطمع فى بقائى زور .

ثم من علامة الدهر المكذور، والعيش الممرور : أننى حيث مانبت؛ دوائر الأشواك تزاحمنى وتجاورنى، فأنا بين الأدغال مطروح، وبنبال شوكى مجروح، وهذا دمي على ما عندى يلوح، فهذا حالى وأنا أشرف الوراد، والطف الأوراد، فمن الذى سَلِمَ من الأنكاد؟ ومن صبر على مرارة الدنيا فقد بلغ المراد .

فبينما أنا أرُفل فى حلل النضارة، إذ اقتطقتنى أيدي النظارة، فأسلمتنى من بين الأزاهير، إلى ضيق القوارير، فيذاب جسدى، وتحرق كبدى، ويمزق جلدى ويقطر دمعى الندى، فلا يقوم بأودى :

فإن غبتُ جسما كنت بالروح حاضرا	فقرىبى سواء - إن تأملت . والبعد
ولله من أضحى من الناس قائلا :	فإنك ماء الورد إن ذهب الورد

إشارة المرسين :

فلما سمع المرسين كلام الورد، قال : قد باح النسيم بسرّه، ونشر السحاب عقود دَرّه، وتضوع البهار بذخره، وتبهرج الربيع بقلائد فخره،

وخلع الورد عذاره، وسحب عن الروض الأنيق أزهاره، فقم بنا نتفرج،
ونتيه بحسنا وتبهرج، فأيام السرور تختلس، وأوقاته بأسرها تحتبس.

فلما سمع الورد كلام المرسين، قال له : يا أمير الرياحين، بئس ما
قلت!

... فقد نزلت عن شيم الأمراء، بعدم تأملك الصواب من الآراء، فمن
المصيب إذا زللت، ومن الهادي إذا ضللت، تأمر باللهو عندك، وتحرض
على التزه جندك، وأمير الرعية، صاحب الفكرة الردية!

فلا يعجبك حسنك، إذا تمايل غصنك... فأيام الشباب سريعة
الزوال، دارسة الطلل، كالطيف الطارق، والخيال المارق، وكذلك
الشباب أخضر الجلباب والثياب، مختلف الأجناس، كاختلاف الحيوان
بين الناس؛ فمنها ما يشم ويدبل، ويحول خطابه وينقل، وتطرقة حوادث
الأيام، ويعود مطروحا على الأكوام، ومنها ما يؤكل ثماره، وتوجد في
الناس آثاره، والسلام من النار أقله وإياك والاعتزار، في هذه الدار، فإنما
أنت فريسة لأسد الحمام، وبعد فقد نصحتك والسلام!!

إشارة النرجس :

فأجابه النرجس من خاطره، وهو ناظر لمناظره، فقال : أنا رقيب القوم
وشاهدهم، وسميرهم ومنادهم، وسيد القوم خادهم، أعلم من له همة،
كيف تكون شروط الخدمة. أشد للخدمة وسطي، وأوثق بالعزيمة شرطي،
ولا أزال واقفا على قدم، وكذلك وظيفة من خدم. لا أجلس بين
جلاسي، ولا أرفع إلى النديم راسي، ولا أمنع الطالب طيب أنفاسي،

ولست لعهد من وصلنى ناسى ولا على من قطعنى قاسى . وكاسى
بصفوه لى كاسى . بنى على قضب الزمرد أساسى وجعل من اللجين
والعسجد لباسى . أتلمح تقصيرى، فأطرق إطراق الخجل، وأفكر فى
مصيرى فأحدق لهجوم الأجل، فأطراقى اعتراف بتقصيرى، وإطلاقى نظر
إلى ما فيه مصيرى .

قمت من ذل على قدمي	مطرقا بالرأس من زلى
لم يكن فى القادمين غداً	نافعى علمى ولا عملى
مقلتى إنسانها أبداً	قط لا يرتد من وجلى
عجلا فى خيفة وكذا	خلق الإنسان من عجل

والإشارات كلها مفرغة فى قوالب مسجوعة محكمة، وقد حوت
معارف شتى وحكما بالغة، وأمثالا شاردة، وأبياتا مرصوفة، ويشوبها
جميعاً روح الزهد والنسك، وقمع الشهوات، والاعتبار بما يجرى على
الكائنات، من حوادث وملامات . فهى فى مجموعها كلمات وعظمية؛
تذكر بعظمة الخالق وسلطانه وجبروته، ودوام بقائه، وبضعف المخلوق
وغروره، واستطالته، ونسيانه مصيره المحتوم، والموت عليه يحوم!

ومما يسترعى النظر: أن الورد فى التحدث عن نفسه يسيل كلامه أسى
ولوعة، وشكوى مرة، وينضج باسترحام رقيق مؤثر مما يناله على أيدي
مستقطريه من الآلام والأوجاع !! وذهاب نضرتة وزوال بهجته .

ولهذا لا نستغرب منه أن يتواضع بل يتضع للمرسين إلى الغاية التى
ليس وراءها غاية : فيخاطبة بأمير الرياحين، وأمير الرعية، ويصفيه الحب
الخالص ويمحضه نصيحة المشفق؛ لأن المخلوق فى حال المحنة، تصفو نفسه
من الأكدار ويتسامى على المقاصد المادية، ويخلص من حمأة الحسد

والحقد والبغض، فيُنصف من نفسه، ويعرف قدر غيره، ويتواضع
لإخوانه، ويؤثرهم بما يحب، ويتمنى لهم من السعادة والخير ما يتمناه
لنفسه!!

وقد استطاع المقدسى أن يُنطق أبطال مقامته بما يحسنه كل منهم،
وبما هو به إلیق وأشبه، وأن يربط بين هؤلاء الأمشاج من المخلوقات،
ويجمعهم فى صعيد واحد، مع ما بين أكثرهم من التنافر والتناكر
الطبعی!! فأحسن وأجاد وأفاد.

وهكذا لم يقنع هؤلاء الشعراء والأدباء بتشخيص الأزهار والأنوار؛
فعمدوا إلى إيقاظ الفتنة النائمة بينها، وأذكوا جذوة الشحنة الهامدة فى
جُنبها؛ فإذا هذه المخلوقات اللطيفة الرقيقة، البريعة المبرأة من مثالب
الإنسان، وأحقاده ونوازعه وشهواته السفلى، بعضها لبعض عدو؛
فتهاجى وتتخاصم، وتتقاطع وتتدابى، وتتناكر وتتنافر.

وقد يصل الأمر بالحرب الباردة بينها أن تصير حربا ساخنة!! وهؤلاء
الشعراء وقوف على كُتب منها؛ يقيدون كلماتها، ويحصون إشاراتِها،
ويسجلون حركاتها وسكناتها، ويدونون مشاعرِها، ويصورون عواطفها،
فى انبساطها وانقباضها، وسرورها وحزنها، ورجائها ويأسها، ونصرها
وهزيمتها، فسبحان من خلق الإنسان وعلمه البيان!!

الفهرس

مقدمة :	٥
المناظرة الأولى : الجوهر الفرد فى مناظرة النرجس والورد	٧
المناظرة الثانية : أنوار السعد ونوار المجد فى المفاخرة بين النرجس والورد	١٩
المناظرة الثالثة : مفاخرة الورد مع النسرین	٢٧
المناظرة الرابعة : رسالة فى تفضیل الورد على الأزهار ورسالة ترد عليها فى تفضیل النرجس	٤١
المناظرة الخامسة : المقامة الوردية فى الرياحین والزهور	٥١
المناظر السادسة : الورد يفوز فى المفاخرة على الأزهار	٧١
المناظرة السابعة : تفضیل المرسین على سائر الرياحین	٧٩